

قَالَ تَعَالَى :

وَإِنَّهُ لَكَلِمٌ لِّلسَّاعَةِ
فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا

التَّصْحِيحُ بِمَبَاتِقَاتِ فِي نَزْوِ الْمَسِيحِ

للإمام العصر المحدث الكبير شيخ محمد أنور شاه الكشميري الهندي

ولد ١٢٩٢ وتوفي ١٣٥٢ هـ
رحمه الله تعالى

رُتِبُهُ تَلِيدُهُ الْعَلَامَةُ الْحَقِيقُ الْبَارِعُ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ شَفِيعُ
مَفْتِي بَاكُتَانَ حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

تحدث هذا الكتاب عن كثير من علامات الساعة الكبرى مشروحة موضحة وخاصة نزول عيسى عليه السلام وخروج الدجال وأجوج ومأجوج والداية والدخان . . . فجدير بكل مؤمن ومؤمنة أن يعلمها ليزداد بها بصيرة وإيماناً

حَقَّقَهُ وَرَاجَعَ نَصُوصَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ
عَبْدُ الْفَتَّاحِ أَبُو عُدَّة

النَّاشِرُ

مَكْتَبُ الْمَطْبُوعَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِحَلَبَ

حقوق الطبع محفوظة للمحقق

الطبعة الأولى	بحلب	١٣٨٥ -	١٩٦٥
الطبعة الثانية	بباكستان	١٣٩٥ -	١٩٧٥
الطبعة الثالثة	ببيروت	١٤٠١ -	١٩٨١
الطبعة الرابعة	بالقاهرة	١٤٠٢ -	١٩٨٢
الطبعة الخامسة	ببيروت	١٤١٢ -	١٩٩٢

قامت بطباعته وإخراجه **دار الفقه** للطباعة والنشر والتوزيع

رشد - حلب - ص.ب : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧

بيروت - ص.ب : ١١٣/٦٥٠١ ويُطلب منها

أربع آيات من كتاب الله تعالى

في نزول عيسى عليه السلام

١ - ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٦﴾ ۞ . من سورة آل عمران: ٤٥ - ٤٦ .

٢ - ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۞ . من سورة المائدة: ١١٠ .

٣ - ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۗ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ۞ .

من سورة النساء: ١٥٧ - ١٥٩ .

٤ - ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ ۞
﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٨﴾ ۞
﴿ وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ فَلَاتَمَمَّرَتْ بِهَا وَأَتَّبِعُونَ هَذَا صِرْطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞

من سورة الزخرف: ٥٧ و ٥٩ و ٦١ .

انظر تفسير الآية الأولى والثانية في ص ٢٩١ ، وتفسير الآية الثالثة في ص ٩٣ و ٢٧٩ - ٢٨٧ ، وتفسير الآية الرابعة وبيان قراءتها في ص ٢٨٩ - ٢٩١ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد فهذه مقدمة للطبعة الثالثة من كتاب «التصريح بما تواتر في نزول المسيح» للإمام المحدث الكبير الشيخ محمد أنور شاه الكشميري الهندي، رحمه الله تعالى وأجزل له المثوبة والرضوان في دار كرامته.

وقد دعاه إلى تأليف هذا الكتاب في حينه، الردُّ على الفرقة الضالَّة: (القاديانية)، وكشفُ كفرها وخروجها عن الجملة والدين، كما هو مشروح في مقدمة هذا الكتاب، بقلم تلميذ المؤلف شيخنا العلامة المحقق المحدث محمد شفيع مفتي باكستان رحمه الله تعالى.

ولما حققتُ هذا الكتاب - بعون الله تعالى وفضله - ، وقمتُ بخدمته وطبعه منذ خمس عشرة سنة على الوجه الذي يراه القارئ، لقيتُ من القبول والرضا والاستحسان ما لم أكن أتوقعه، ونفع الله به خلقاً كثيراً، وأثار به حكماً كان مغموراً، وأفاد أناساً كباراً من عليَّة أهل العلم والفقہ في هذا العصر، كانوا ينظرون إلى هذه المسألة بالاستضعاف ولين الثبوت، فلما وقفوا على هذا الكتاب وقرأوه، تحوَّلوا - بفضل الله تعالى ثم بفضل هذا الكتاب - إلى الاعتقاد الحق فيها، وأنها من الأمور الثابتة المتواترة تواتراً معنوياً لا ريب فيها.

فأزال هذا الكتابُ - بفضل الله وكرمه - غموضَ هذه المسألة من نفوس كثير من أهل العلم، وأبدلهم بالغموض فيها وضوحاً، وبالتردد يقيناً، وبالتوقف جزماً، وبالاستضعاف لها دفاعاً عنها، فالحمد لله على فضل الله.

أما نفعُهُ للعامة والخاصة من طلبة العلم وراغبه، فقد كان واسعاً وكثيراً، إذ وجدوه قد جَمَعَ لهم نصوصَ هذه المسألة خيرَ جَمْع، وضَبَطَها، وحقَّقَها، وشرَّحَها، وجلَّى معانيها والمرادَ بها خيرَ تجلية، بحيث يفهمها العالم والمتعلم والرجل والمرأة، على وجه تطمئن به القلوب، وتستقر فيه العقيدة المتوارثة من السلف إلى الخلف على أنصح يقين، وبحيث يُدْفَعُ القارئُ الناظرُ عن الجادة في هذه المسألة، إلى الرجوع إليها والإذعان لها كما هو الحق.

وصدَّرت الطبعة الأولى منه بحلب سنة ١٣٨٥، وقدَّر الله تعالى لها النفاذ في وقت قصير، واشتد الطلبُ على الكتاب من جهات شتى، من الهند وباكستان ومصر واليمن والشام وغيرها من بلاد الإسلام، ولم أمل إلى طبعه كما هو، بُغية أن أضيف إليه إضافات، وأزيد فيه زيادات، تجمَّعت لدي بعد طبعه، تزدادُ بها محاسنُ الكتاب وفوائده، ولكن لم أتمكن من ذلك لأسباب قاهرة.

ولما قام علماء الإسلام في باكستان قومَتهم الحميدة، منذ خمس سنوات، لعزل (الفرقة القاديانية) عن الإسلام شرعاً وقانوناً هناك، رأوا من خير ما يساعدهم في هذه الحملة الصعبة الشاقة، للتغلب على هذه الفرقة وكشف كفرها ومروقها من الإسلام: طبع هذا الكتاب، فصورته «جمعية تحفظ حتم النبوة في باكستان»، التي كان رئيسها شيخنا العلامة المحدث الفقيه المجاهد الكبير محمد يوسف البنوري رحمه الله تعالى، وطبَعته بكميات كبيرة، ووزَّعته على العلماء والمتعلمين والمثقفين هناك، فأعطى أطيب الثمرات، وكتبَ الله النصر للعلماء على (القاديانية)، فعزَّلت عن الإسلام، واعتبرت طائفةً من الطوائف غير المسلمة في الجمهورية الإسلامية الباكستانية.

وتتابع عليَّ الطلبُ بطبعه من غير جهة، من البلاد العربية وغيرها، وكنتُ أرجىء طبعه على أمل أن أتمكن من إعادة طبعه وصَفِّه من جديد، لأُدخِل (الإضافات والمستدركات) فيه إلى مواضعها، ولكن ظروف الطباعة القاسية اليوم لم تمكني من هذا الذي أرغبه، فطبعْتُ الكتاب تصويراً كما هو في طبعته الأولى، وقدمتُ له بهذه المقدمة، مع كلمةٍ موجهةٍ إلى المتواكفين القاعدين عن الجِدِّ والعمل

لنصرة الإسلام ودفع قوى الباطل، استسلاماً، وانتظاراً منهم لنزول عيسى عليه السلام.

واستدركتُ تصحيحَ الأخطاء المطبعية الطفيفة التي وقعتُ فيه، وتداركتُ (الإضافات والاستدراكات) التي تجمعتُ لدي، فجعلتها في آخر الكتاب من هذه الطبعة، مع الإشارة إلى مواضعها من صفحات الكتاب وسطوره، ووضعتُ نجمةً في داخل الكتاب، على الكلمة أو الجملة التي عليها استدراك، أو فيها إضافة، ليعود القارئ إليها في آخر الكتاب، سوى استدراكين كانا في الطبعة الأولى في آخرها، فوضعتُ على موضعهما من داخل الكتاب نجمتين، إشارةً إلى أنهما في استدراك الطبعة الأولى ص ٣٥٠.

فإذا لاحظ القارئ فوق الكلمة نجمةً، فإنها تشير أن في الاستدراك بآخر الكتاب إضافةً عليها، أو تعديلاً لجملتها أو ما يتعلّق بها، وأغلبُ هذه الاستدراكات والإضافات، تهتمُّ طلابُ العلم والمتخصصين، أما القارئ المثقف فهي تزيد فائدةً ومعرفةً، ولا تنقصه علماً إذا أغفلها في الغالب.

وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب قارئه، ويزيل به الشكوك والغموض من صدور المؤمنين الضعفاء الحائرين، ويكرمني بصالح دعواتٍ من ينتفعُ به، ويدخِرَ لي ثوابَ خدمتي له وعنايتي به عنده. ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾. والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

وكتبه

عبد الفتاح أبو غدة

في الرياض ١٦ من رمضان المبارك ١٣٩٩

كلمة إلى المتواكفين القاعدين عن العمل الجِدِّي لنصرة الإسلام
استسلاماً، وانتظاراً منهم لنزول عيسى عليه السلام.

تعرض هذا الكتاب إلى جملة من العلامات التي تتقدم (الساعة)، وتسبق
انتهاء الحياة الدنيا، وهناك فكرة شائعة لدى عدد من عوام المسلمين، وهي أنهم
يتخذون من إخبار الرسول ﷺ بهذه العلامات، مُتَكأ لهم في ترك العمل الجِدِّي
إلى إعادة الحياة الإسلامية الصحيحة، وقد ربطوا بعلامات الساعة أمراً لا صلة له
بها!

وهو أن العمل الآن لا يُجدي، لأنه لا بد أن يزداد الفساد، وينتشر الضلال،
وتأتي الخوارق التي تتقدم الساعة، من ظهور المهدي ونزول عيسى عليه
السلام...، وحينئذ يعود الإسلام ويتنصر الدين، وينتشر الحق، ويقوى أهله،
ويسود الحكم بالإسلام على وجهه، فلا جدوى الآن من مقاومة الباطل وأهله مهما
حاول الإنسان المسلم!

وهذه الفكرة الضالّة الخبيثة - وقد تكون دخيلة على المسلمين بمخارز
أعدائهم الناعمة - : أسقطت السعي الجِدِّي الواجب، والوعي الإسلامي
الصحيح، عند هؤلاء الجاهلين ومن يدور في فلكهم من المسلمين المغفلين! فقد
أثرت فيهم تأثيراً سلبيّاً، وأحبطت منهم العمل الجِدِّي والسعي المتواصل لإعادة
الحياة الإسلامية.

وكثيراً ما خدع هؤلاء الجاهلون الأغرار من المسلمين: أشباههم، بقولهم
لهم: إن العالم قد اقترب من نهايته، وإن الأحاديث النبوية تدل على استمرار
التدهور في شأن الإسلام والمسلمين، ولما كان الأمر هكذا، كان لا جدوى من

السعي لعمل شيء في وقف هذا التيار الفاسد، ومنع هذا الانحدار، إذ هو أمر قدّره الله تعالى، وبلّغه رسوله ﷺ، ولا بد أنه واقع، فما علينا إلا التسليم والسكون حتى يأتي أمر الله الذي لا مفرّ منه.

وهذه الفكرة الخاطئة الزائفة، تجب معالجتها في نفوس المصابين بها، لدفع هذا التأثير السلبي، الذي أثمرته في إرادة هؤلاء المسلمين الشعورية، واللاشعورية، فإن هذا الاعتقاد الباطل يُعيق الحركة الإسلامية من داخل المسلمين، فضلاً عن المعوّقات التي تُنثر في طريقها من خارجهم.

ولو كانت هذه الفكرة صحيحة سليمة ثابتة، لما كان الجهد والجهاد من السلف في دفع كل زيغ وانحراف، من أي مبطل كان: أجنبياً أو عربياً، مسلماً في الصورة أو كافراً، لأننا إذا مشينا في ظل هذا الفكر الزائف، لزمنا أن نستسلم لكل ما يواجهنا من صعوبات وتحديات، في مختلف الشؤون والمستويات! وهذا أمر لا يقول به عاقل، فضلاً أن يكون الشرع الإسلامي أرادته منا، وحاشا شرع الله من أن يُضاف إليه ذلك.

فلماذا يسعى هؤلاء الجاهلون المصابون بهذه الفكرة المريضة، في تنمية أموالهم وأحوالهم، وتحسين عيشتهم ومسكنهم، وما إلى ذلك من أمور الدنيا ومرافق الحياة؟ فإذا جاءوا إلى أمور الدين والجهاد لبستهم هذه الفكرة الشيطانية، فضّلوا وتحاذلوا عن نصره دينهم، فأين عقلهم وفهمهم من صريح قول النبي ﷺ: «الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة»، وأمثاله من الأحاديث الصحيحة الكثيرة، وقد علّم العالمون البصراء أن سنة الله في عباده: الجهد والجهاد، والأخذ بالأسباب، كما هو بدّهي عند كل مسلم فاقه لدينه وإسلامه.

فترك الجهد والعمل في نصره الدين والإسلام جريمة، وترك دفع المبطلين والظالمين والكافرين المستولين على المسلمين - بسبب هذا الاعتقاد الباطل - جريمة فوق جريمة، ومصيبة عظيمة أصيب بها عقل المرضى بهذا الاعتقاد، ويجب الإسراع بعلاجهم وإنقاذهم من هذا الداء الويل!

وما أحسن قول الإمام الفقيه الكبير، والعالم العامل الصوفي البصير، الشيخ عبد القادر الجيلاني البغدادي الشهير: ليس الرجل الذي يُسَلِّمُ - أي يستسلم - للأقدار، وإنما الرجل الذي يدفع الأقدار بالأقدار. وفي رواية ثانية عنه يقول: نَفَرُ من القَدَرِ الفاضل إلى القَدَرِ الأفضل.

وهي كلمة حكيمة بصيرة، من لباب الشرع والعقل جميعاً، وسنّها ومرجعها في الكتاب والسنة المطهرة كثير، لو جمع لجا في رسالة حسنة، وحسبك سنداً لها ما رواه البخاري في «صحيحه» ١٠: ١٧٩ بشرح «فتح الباري»، ومسلم في «صحيحه» ١٤: ٢٠٨ بشرح النووي، كلاهما في كتاب الطب، من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه:

«أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خَرَجَ - من المدينة - إلى الشام، - سنة ١٧ من الهجرة أو ١٨ - ، حتى إذا كان بِسَرَّغَ - قرية على طَرَفِ الشام مما يلي الحجاز - لَقِيَهِ أمراءُ الأجنادِ أبو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ وأصحابه، فأخبروه أن الوَبَاءَ قد وقع بأرض الشام.

قال ابن عباس: فقال عُمَرُ: ادْعُ لي المهاجرين الأولين، فدعوتهم، فاستشارهم، وأخبرهم أن الوَبَاءَ قد وقع بالشام، فاختلقوا، فقال بعضهم: قد خرجتْ لأميرٍ ولا نرى أن تَرَجَعَ عنه، وقال بعضهم: معك بقيَّةُ الناسِ وأصحابِ رسولِ الله ﷺ، ولا نرى أن تُقَدِّمَهُم على هذا الوَبَاءِ، فقال: ارتفعوا عني.

ثم قال: ادْعُ لي الأنصار، فدعوتهم، فاستشارهم، فسلكوا سبيلَ المهاجرين، واختلقوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني.

ثم قال: ادْعُ لي من كان ها هنا من مَشِيخَةِ قريش من مُهاجِرَةِ الفتح، فدعوتهم، فلم يَخْتَلِفْ منهم عليه رجلان، فقالوا: نرى أن تَرَجَعَ بالناسِ ولا تُقَدِّمَهُم على هذا الوَبَاءِ. فنَادَى عمرُ في الناسِ: إني مُصِيبُ على ظَهْرِ فَاصِبِحُوا عليه - أي إني عازمٌ على السفرِ صباحاً، راکبٌ على ظَهْرِ الرَّاحِلَةِ إلى وطني، فَاصِبِحُوا عليه وتأهبوا له - .

فقال أبو عبيدة بن الجراح: أفراراً من قَدَرِ الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة! نعم، نَفَرُ من قَدَرِ الله إلى قَدَرِ الله^(١)، أَرَأَيْتَ لو كانت لك إِبِلٌ، فَهَبَطَتْ وادياً له عُدُوتَانِ – أي طَرَفَانِ وحافَتَانِ – إحداهما خِصْبَةٌ، والأخرى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إن رَعَيْتَ الخِصْبَةَ رَعَيْتَها بِقَدَرِ الله، وإن رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَها بِقَدَرِ الله.

قال: فجاء عبدُ الرحمن بن عوف، وكان متَغَيِّباً في بعض حاجته

(١) قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» ١٠: ١٨٥ «أطلق عليه فراراً لشبهه في الصورة، وإن كان ليس فراراً شرعياً. والمراد أن هجوم المرء على ما يهلكه منهياً عنه، ولو فعل لكان من قَدَرِ الله، وتجنبه ما يؤذيه مشروع، وقد يُقدَّرُ الله وقوعه فيما فرَّ منه، فلو فعله أو تركه لكان من قَدَرِ الله.

ومحصل قولِ عمر رضي الله عنه: (نعم، نَفَرُ من قدر الله إلى قدر الله)، أنه أراد أنه لم يَفِرْ من قَدَرِ الله حقيقةً، وذلك أن الذي فرَّ منه: أمرٌ يخاف على نفسه منه، فلم يَهْجُم عليه، والذي فرَّ إليه: أمرٌ لا يخاف على نفسه منه إلا الأمر الذي لا بُدَّ من وقوعه، سواء كان ظاعناً أو مقيماً».

وقال الإمام النووي في «شرح صحيح مسلم» ١٤: ٢١٠، «وأما قولُ عمر لأبي عبيدة: (لو غيرك قالها يا أبا عبيدة)، فجواب (لو) محذوف، وفي تقديره وجهان:

أحدهما: لو قاله غيرك لأدبته، لاعتراضه علي في مسألة اجتهادية وافقني عليها أكثر الناس وأهل الحل والعقد فيها.

والثاني – وهو الأصح – لو قالها غيرك – يا أبا عبيدة – لم أتعجب منه، وإنما أتعجب من قولك أنت ذلك! مع ما أنت عليه من العلم والفضل؟ ثم ذكر له عُمرُ دليلاً واضحاً من القياس الجليلي الذي لا شك في صحته.

وليس ذلك اعتقاداً من عمر رضي الله عنه أن الرجوع يَرُدُّ المقدور، إنما معناه أن الله تعالى أمر بالاحتياط والحزم ومجانبة أسباب الهلاك، كما أمر سبحانه بالتحصن من سلاح العدو وتجنب المهالك، وإن كان كل واقع فبقضاء الله وقدره السابق عليه. وقاس عمر – هذه المسألة – على رعي العُدوتين: – الخِصْبَة والجَدْبَة – لكونه واضحاً لا يُنازع فيه أحدٌ مُساوئته لمسألة النزاع».

— لم يحضر معهم المشاورة — ، فقال: إنَّ عندي في هذا علماً، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إذا سمعتم به — أي بالوباء والطاعون — بأرض فلا تقدّموا عليه، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه. قال: فحَمِدَ اللهُ عُمراً، ثم انصرف.

ويكفي هذا الشاهدُ الناطق، والحديثُ الصادق، في دُخْر هذه الفكرة الباطلة الزائفة، وما أُقدِّرُ نشوءها إلا من أعداء الإسلام، استغفلوا بها بعض المغفلين، فنشأت فيهم، واستقرت في نفوسهم وسلوكهم! فأغنت أعداءهم عن تَعَبٍ وَنَصَبٍ كبير في أمر الاستيلاء عليهم.

وَرَحِمَ اللهُ تعالى الإمامَ ابنَ القيم، فقد تعرّض لهذه المسألة في كتابه «مدارج السالكين» ١: ١٩٨، فأبان الحقَّ فيها ببيانه البديع، وأزهق الباطل بكلامه المنيع، فقال: «والنظرُ إلى الأقدار هو المجالُ الضنك، والمعتزكُ الصعب، الذي زلّت فيه أقدام، وضلّت فيه أفهام، واقترقت بالسالكين فيه الطُرقات، وأشرفوا — إلا أقلهم — على أودية الهلكات.

وكيف لا وهو البحرُ الذي تجري سفينةُ راكمه في موج كالجبال، والمعتزكُ الذي تضاعفت لشهوذه شجاعةُ الأبطال، وتحيّرت فيه عقولُ ألباء الرجال، ووصلت الخليفةُ إلى ساحله يبغون ركوبه، فما نجا منهم إلا الذين انتظروا موافاة سفينة الأمر — أي الأخذِ بالأسباب المشروعة ودفعوا القدرَ بالقدر — ، فركبوا سفينة الأمر بالقدر.

وراكبُ هذا البحرِ في سفينةِ الأمر، وظيفته: مُصادمةُ أمواج القدر، ومعارضتها بعضها ببعض، وإلا هلك، فيردُّ القدرُ بالقدر. وهذا سيرُ أرباب العزائم من العارفين، وهو معنى قول الشيخ العارف القدوة عبد القادر الكيلاني: «الناس إذا وصلوا إلى القضاء والقدر أمسكوا، إلا أنا، فانفتحت لي فيه روزنة — أي كوة ونافذة — فنازعتُ أقدارَ الحق، بالحق، للحق، والرجلُ من يكون مُنازِعاً للقدر، لا من يكون مستسلماً مع القدر».

ولا تتم مصالحُ العباد في معاشيهم إلا بدفع الأقدارِ بعضها ببعض ، فكيف في معادهم؟

والله تعالى أمر أن تُدفع السيئة - وهي من قدره - بالحسنة - وهي من قدره - ، وكذلك الجوعُ من قدره ، وأمر بدفعه بالأكل الذي هو من قدره ، ولو استسلم العبدُ لِقَدْرِ الجوع ، مع قدرته على دفعه بِقَدْرِ الأكل ، حتى مات : مات عاصياً . وكذلك البَرْدُ والحَرُّ والعَطَشُ ، كُلُّها من أقداره ، وأمر بدفعها بأقدارٍ تُضادُّها . والدافعُ والمدفوعُ والدَّفْعُ من قدره .

وقد أفصح النبي ﷺ عن هذا المعنى كَلَّ الإفصاح ، إذ قالوا : «يا رسول الله ، أرايت أدويةً تداوي بها ، ورُقَى نسترقى بها ، وتُقَى نتقى بها ، هل تردُّ من قدر الله شيئاً؟ قال : هي من قدر الله . وفي الحديث الآخر «إن الدعاء والبلاءَ ليعتِلجانِ بين السماء والأرض» .

وإذا طَرَقَ العدوُّ من الكفارِ بلدَ الإسلام طرَقه بِقَدْرِ الله ، أفيحلُّ للمسلمين الاستسلامُ للقدر ، وتركُ دفعه بِقَدْرِ مثله ، وهو الجهادُ الذي يدفَعون به قَدْرَ اللّهِ بِقَدْرِهِ؟

وكذلك المعصيةُ إذا قُدِّرَتْ عليك ، وفَعَلْتَهَا بالقَدْرِ ، فادفعُ مُوجِبَهَا بالتوبةِ النصوح ، وهي من القدر .

ودَفْعُ القَدْرِ بالقدر نوعان :

أحدهما : دَفْعُ القَدْرِ الذي قد انعقدت أسبابه - ولَمَّا يقع - بأسبابٍ أخرى من القَدْرِ تقابله ، فيمتنع وقوعه ، كدفع العدو بقتاله ، ودفع الحرِّ والبرد ونحوه .

الثاني : دَفْعُ القدر الذي قد وَقَعَ واستقر بِقَدْرِ آخر ، يرفعه ويُزيله ، كدفع قَدْرِ المرض بِقَدْرِ التداوي ، ودفع قَدْرِ الذَّنْبِ بقدر التوبة ، ودَفْعُ قَدْرِ الإساءة بقدر الإحسان .

فهذا شأنُ العارفين وشأنُ الأقدار، لا الاستسلامُ لها، وترْكُ الحركة والحيلة .
فإنه عجز . والله تعالى يلوم على العجز . فإذا غلب العبد، وضاق به الحيل، ولم
يَبق له مجال، فهناك الاستسلامُ للقَدْر، والانطراحُ كالميت بين يدي الغاسل يقبله
كيف يشاء . انتهى . والحمد لله رب العالمين .

وختاماً نسأل الله العافية من الجهل وآثاره، ونستلهمه سبحانه الرشاد والسداد
في جميع الشؤون، ومنها مجاهدةُ الأعداء، فإنه نعم المولى ونعم النصير .

وكتبه
عبدالفتاح أبوغدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التَّقْدِيمُ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه
والتابعين .

أمّا بعد فإنّ هذا الكتاب الذي أقدمه كان أمنيّةً غاليةً في نفسي عزّ
عليّ منالها ، فقد سمعتُ للحصول على نسخةٍ منه من طبعته الهندية منذ أكثر
من خمسة عشر عاماً فلم أحظّ به ، بحثتُ عنه في مصر بلادِ الكتبِ طَوَالَ إقامتي
بها ست سنوات ، ثمّ في مكّاتِ مكة والمدينة ثمّ في مكّاتِ بنّداد وغيرها من
البلدان العربية فلم أجده ، ثمّ رجوتُ من بعض أفاضل العلماء في الهند وباكستان
أنّ يتفضّلوا بالسعي للحصول على نسخةٍ منه من بلادهم الطبوع فيه ، فسعّوا
مشكورين غيرَ واجدين شيئاً .

ذلك لأنّ هذا الكتاب فريد في موضوعه ، نادر في إمامة مؤلّفه ، فلذا
ما إنّ طُبِعَ في الهند بدّهلي سنة ١٣٤٤ حتى تحاطفتّه أيدي العلماء وطلاب العلم
فأصبح العثورُ على نسخةٍ واحدةٍ منه أمراً عسيراً جداً .

ولمّا أتاح الله لي الرحلة إلى الهند وباكستان ، وزرتُ مكّاتِها سألتُ
عنه كثيراً وبحثتُ طويلاً على غير جدوى من لقائه ، فلمّا انتهى بي المطافُ من
الهند وباكستان إلى مدينة كراتشي ، وزرتُ سماحة أستاذنا العلامة المحقّق البارِع
الجليل الشيخ محمد شفيع مؤسس دار العلوم الإسلامية في كراتشي والمفتي الأعظم
فيها حفظه الله تعالى : كان من صنائمه الكريمة إليّ أن قدّم لي نسخةً الخاصّة

من هذا الكتاب هدية كريمة نادرة ، وكان ذلك قبيل سفري : يوم السبت ٧ / من جمادى الأولى سنة ١٣٨٢، ورجا متلطفاً أن يُطبع الكتاب في بلادنا، فتلقيتُ الهدية شاكراً مثنياً مقدراً ، ولم يتَّح لي أن أتصفح الكتاب لزحمة استعدادي للسفر صباح الأحد الباكر ٨ / من جمادى الأولى ، فعزمتُ أن أجمله رفيقي في الطائرة إلى سورية .

ولما ذهبتُ إلى مطار كراتشي للسفر منه وجدتُ شيوخ العلم والفضل فيه خرجوا ليكرموا العاجز الضعيف بالازدياد والتزود من لغاتهم الغالي ، وقبل أن تحين ساعة السفر أعلن تأخير إقلاع الطائرة عن موعدها ساعتين ، فرجوت من الأساتذة الأجلة أن يعودوا إلى مهام أعمالهم ، فلم يكن منهم غير الإصرار على زيادة فضلهم بالبقاء لوداع العبد الضعيف حتى اللحظة الأخيرة .

فكانت فرصة سانحة كريمة ، وجلسنا في ناحية من المطار ، ومع الشيوخ الأكارم جبهة كبيرة من صحَّبيهم ومُحبَّبيهم أهل الدين والصلاح ووجوه الإسلام العامل في كراتشي ، فكانت حلقة واسعة جامعة ، جمعت من العلماء الأفاضل نخبة كريمة، أنذكرُ منها الآن : أستاذنا العلامة الجليل الكبير الشيخ محمد شفيع ، وأستاذنا العلامة الفذّ للفضال الشيخ محمد يوسف البَنُوري مؤسس المدرسة العربية الإسلامية في كراتشي ، والأستاذ العلامة الشيخ لطف الله كبير المدرسين في المدرسة العربية ، والأستاذ العلامة الشيخ نور أحمد الأمين العام لمدرسة دار العلوم الإسلامية الآنف الذكر ، وكان غيرهم من كرام أهل العلم ممن غابت غني أسماؤهم الآن !

فرغبتُ أن نغلق الوقت بالاستفادة الفعالة من بُدُور العلم والفضل ، فأخرجتُ كتاب « التصريح بما تواتر في زول المسيح » هذا ، ورجوتُ من سادتنا العلماء أن أقرأ طرفاً من الكتاب عليهم فرحبوا أطيب ترحيب ، فرجوتُ منهم أن يتكروموا بـ « الإجازة » لي قبل القراءة بخادواها ، فقرأتُ مقدمة مولانا الشيخ محمد شفيع كلَّها وثلاثة أحاديث من الكتاب ، ثم تفضلتُ بالقراءة أستاذنا

جمع الفضائل والعلوم الملامة الشيخ محمد يوسف البتوري حفظه الله تعالى فقرأ خمسة أحاديث بعدها ، وجرى خلال ذلك إفاذات متنوعة من المشايخ الفضلاء .

ولما قاربت ساعة الرحيل أنشدتُ حينذاك ما أنشدنيه شيخنا آخيراً
 شيوخ الإسلام في الدولة العثمانية الملامة شيخ الإسلام مصطفى صبري رحمه الله
 تعالى حين ودعته مسافراً من مصر إلى بلدي :

قالت ومدت يداً نحوي تُودعني ولوعةً البين تآبى أن أمده يدأ
 أميت أنت أم حي ؟ فقلت لها : من لم يممت يومَ بيسن لم يممت أبداً^(١)

فأنشد شيخنا محمد شفيع قوله :

تذكر عهداً بالجمي ثم معهداً جرى فيه من دور الكؤوس تسلسل
 بكينا فأبكيئنا ولا مثل ناقب لحظلة في الحمي حين تحمّلوا

وكان حال شيخنا البتوري وحالي يقول :

وببكي فأبكي رحمةً ابكائه إذا ما بكى دمعاً بكيت له دما
 ثم كان الوداع والفراق ، وفي النفس العزم على تلبية رجاء شيخنا محمد
 شفيع بنشر هذا الكتاب العظيم .

وقد تيسر لي هذا العام - بفضل الله وعونه - تحقيق الكتاب وخدمته
 على وجه أرجو أن تقر به عيون ذوي العلم ، وتستنير به قلوب ذوي الإيمان ،
 وتستبصر به عقول أصحاب العقيدة الحق والإسلام الصدق ، وأدخر جزءاً ما
 بذلت فيه من جهد وصبر وإتقان عند الله واهب المن والمطايا ، وأرجو من انتفع
 به أن تنالني منه دعوة صالحة تؤمن الملائكة عليها ويكتب له مثلها .

(١) هذان البيتان للشاعر الحلبي أحمد بن علي الوراق المعروف بالواصي ، للتوفي
 أواخر القرن الرابع الهجري ، كما ذكرهما له في ترجمته شيخنا العلامة محمد راغب
 الطباخ رحمه الله تعالى في « إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء » ٤ : ٦٤ .

سبب تأليف هذا الكتاب

ألّف الإمام الكشميري رحمه الله تعالى هذا الكتاب للردّ على الفرقة القاديانيّة الضالّة ، التي نبتت في أواخر القرن المنصرم في الهند بتوجيه من الإنكليز المستعمرين ، وبدعمهم ورعايتهم حتى مزقت جزءاً كبيراً من جسم الإسلام ، وضلّت غير قليل من أبناء المسلمين ، فهض العلماء من كل حدب وصوب يقيمون أباطلها . ويكشفون مساوئها ، ويصرفون الناس بحال داعيها ودجالها المتبني المتعولي القادياني .

فأثروا في ذلك تأليف كثيرة جداً زادت على ستين تأليفاً ، أشرت إلى بعضها تعليقا في ص ٤٩ - ٥٣ و ٥٦ - ٥٧ . وكان صاحب القيدح الملثي في ذلك المزار لا يجاري فيه ولا يجاري : الإمام الكشميري مؤلف هذا الكتاب رحمه الله تعالى ، فقد ألّف في الردّ على القاديانيّة خمسة كتب ، منها الكبير والمتوسط ، وكتاب « التصريح » هذا من أصغرها .

وقد لقيت كتب الإمام الكشميري رواجاً منقطع النظير ، وحازت ثناء العلماء وتقديرهم العظيم في مشارق الأرض ومغاربها ، وذلك لما امتازت به من واسع العلم ، وعميق التدقيق ، وبالغ الحجج والبراهين التي تسمح الباطل والشبهات مسحاً فلا تبقى ولا تذر ، مع ما يلبسه قارئها من فيض الإخلاص والتواضع فيها .

وقد أثنى عليه عالم الرجال ونقادهم وعارف أقدار ذوي القدر فيهم شيخنا الإمام محمد زاهد الكوثري رحمه الله تعالى في « المقالات » ص ٣٥٩ ثناء ذوي الفضل على أهل الفضل فقال : « أعلى الله سبحانه منزلة العلامة فقيه الإسلام المحدث الحجاج الشيخ محمد الأنور الكشميري في عرف الجنان ، وكافأه مكافأة الذائبين عن حرّيم دين الإسلام ، فانه قبح القاديانيّة بحججه الدامغة ، وحال دون استفحال شرّ معتدليهم ومنطريّهم في الهند بتأليف كتب

متممة في الرد عليهم بلغاتٍ شتى ، وحقَّقَ في كتابه «إكفار الملحدين» أمرَ
إكفارِ هؤلاءِ وأمثالِهِمْ . انتهى .

وقد خَصَّ شيخنا الكوثري رحمه الله تعالى ، بيانَ كفرِ القاديانيةِ
ومرُوقِها بمقالٍ خاصٍ في كتابه «المقالات» ص ٣٥٧ - ٣٥٩ ، وتقلَّ فيه
نصوصَ كلماتِ القادياني الكافر الضَّالِّ ، ليقف عليها قراءُ العربية في أقطارها ،
فيعلموا ضلالَ هذه الشُّحَّةِ وضلالَ أصحابها ، فلا يُخدعوا بشُرِّها تهم وأباطيلهم ،
بخِزاهِ الله خيراً عن الإسلام .

عملي في الكتاب وأهمية الكتاب

هذا ، وقد ألَّفَ الإمام الكشميري هذا الكتاب «التصريح» للخاصةِ
من العلماء الباحثين ليكون بيدهم سيفاً بترأ للقاديانية وضلالاتها ، فلذلك اقتصر
فيه على إيراد النصوص الحديثة دون شرحٍ أو تعليقٍ عليها ، ولما عزمتُ على
نشره وإذاعته للناس رغبتُ أن يكون كتاباً للخاصةِ والمامةِ معاً ، فعلقتُ
عليه تعليقاتٍ ضافيةٍ حيناً وموجزةٍ حيناً آخر، أوضحتُ فيها النصَّ الذي يقتضي
الإيضاح ، أو تتطَّعُ نفسُ قارئه إلى المزيد من معرفته والتثبت من حقيقةِ
معناه ومدلوله ، وعدلتُ بعض عباراتٍ في المقدمة وغيرها بأمرِ كاتبها شيخنا
محمد شفيع حفظه الله تعالى .

وجلَّيتُ كلَّ ذلك بعبارةٍ سهلةٍ مفتوحة ، رغبةً في تيسير الاستفادة منه
للعامةِ ، وحرصاً على تمتين عقيدة الإيمان باليوم الآخر ، وتبصيراً بما يكون قبلَ
ذلك اليوم من حقائقٍ وخوارقٍ وحوادثٍ وأهوال ، فانه مما يلاحظ أن قراءة
أخبار الساعة واليوم الآخر وما يكون قبله لها الأثر الكبير البالغ في تصحيح سلوك
الناس وتحسين أعمالهم ، كما أن بُعدَ الناس عن قراءتها ومعرفتها يتسبَّبُ عنه
سوءُ العمل ، ويُنسي على طول الزمن تلك الحقائقَ من الأذهان ، ويقلِّصُها في
النفوس ، حتى قد يقعُ الاستبعادُ لها والاستخفافُ بها ، أو الانكار لوقوعها عن
لا علم عندهم .

ولذلك كان السلفُ الصالحون يداومون على تسليم تلك الأخبار والأحاديث، ويذكرونها للناس حتى للأولاد في الكتاب - المدرسة - ليتوارثوا معرفتها بعلمٍ وبصيرة ، واتكون لهم بها عقيدة راسخة أصيلة ، تزيد متانةً على مرور الأيام . وقد كان الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه يلقى الفتي الشاب فيقول له : يا ابن أخي إنك عسى أن تلقى عيسى ابن مريم فاقراءه مني السلام . تحقيقاً لنزوله عليه السلام .

* وروى مسلم في « صحيحه » ٥ : ٨٨ « عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يُعلمهم هذا الدعاء كما يُعلمهم السورة من القرآن ، يقول : قولوا : « اللهم إني أعوذُ بك من عذاب جهنم ، وأعوذُ بك من عذاب القبر ، وأعوذُ بك من فتنة المسيح الدجال » ، وأعوذُ بك من فتنة المحيَا والممات » . قال مسلم بن الحجاج : بلغني أن طاوساً - وهو راوي هذا الحديث عن ابن عباس - قال لابنه : أدعوتَ بها في صلاتك ؟ فقال : لا ، قال : أعدُ صلاتك » . انتهى .

وإنما أمرَ طاوسُ ابنه بإعادة الصلاة لأنه كان يرى وجوب الدعاء في الصلاة بهذه الدعوات الأربع ، ويرى أن المصلي إذا أخل بها بطلت صلاته ، وذلك لما قيمته من وجوبها من اهتمام النبي ﷺ بتعليمها للصحابة كما كان يُعلمهم السورة من القرآن ، وأمره لهم بالدعاء بها في صلواتهم . وقد روى مسلم في « صحيحه » أيضاً ٥ : ٨٧ عن عائشة أن النبي ﷺ كان يدعو في الصلاة بهذا الدعاء . وروى أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إذا تشهد أحدكم فليستعِذ بالله من أربع ، يقول : اللهم إني أعوذُ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيَا والممات ، ومن شرِّ فتنة المسيح الدجال » .

وما هذا الاهتمام العظيم من النبي ﷺ بهذا الدعاء عملاً وأمرًا وتعليمًا إلا لسأحواء من التعمد من عظام الأمور والأحوال الكائنة الحق ولا ريب ، ولهذا جزم الإمام ابن حزم الظاهري بفضيلة قراءة هذا التعمد بعد الفراغ من

التشهد كما في كتابه « المحلّي » ٣ : ٢٧١ أخذاً من ظاهر حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وبعد أن روى الإمامُ ابن ماجه في « سننه » حديثَ أبي أمامة الباهلي ، وهو الحديث : ١٣ المذكور في الكتاب ص ١٤٢ - ١٥٦ ، وفيه أوصافُ الدجّالِ وأحواله وأعماله وزولُ عيسى عليه السلام ، قالَ عَقِيْبُهُ : « سمعتُ أبا الحسن الطنّافِيّ يقول : سمعتُ عبدَ الرحمن الحُثاريّ يقول : ينبغي أن يُدْفَعَ هذا الحديثُ إلى المؤدّبِ حتى يُعلِّمه الصَّبِيَّانَ في الكُتّابِ » . أي في المدرسة .

وقال العلامة السّفْثاريّ في شرح منظومته في العقيدة الاسلاميّة المسمّى « لوامع الأسرار البهيّة » ٢ : ١٠٦ « ينبغي لكلّ عالم أن يَبْتَثَ أحاديثَ الدجّالِ بين الأولاد والنساء والرجال ، ولاسيّما في زماننا هذا الذي ائْتُرِبَتْ فيه الفِئْتَنُ ، وكثُرَتْ فيه الميْحَنُ ، واندرستْ فيه معالمُ السُّنَنِ ، وصارتْ السُّنَّةُ فيه كاليداع ، واليدعةُ شرعٌ يُتَّبَعُ ! » . انتهى .

وهذه المعاني كلّها هي التي دعَتْ الفقير إليه تعالى أن يهتمَّ بنشر هذا الكتاب ، على هذا الوجه المشرق الجذّاب ، تبصيراً للمسلمين بقبيحتهم ، وبيوم آخرتهم ، والله الهادي إلى سواء السبيل ، وهو حسبنا وربّنا ونعم الوكيل . فالحمدُ لله على تيسيره طبع هذا الكتاب ، وعلى توفيقه سبحانه لخدمة كلامه وكلام رسوله ، وعلى نشر سننه وشريمته عليه الصلاة والسلام بين الناس .

كلمة حول أسرار الساعة وعموماتها

علاماتُ الساعة على قسمين : علاماتٌ صغرى ، وهي التي تقدّمُ الساعة بأزمان بعيدة متطاولة ، وتكون في أصلها معتادة الوقوع ، و : علاماتٌ كبرى ، وهي التي تقاربُ قيامَ الساعة مقاربةً وشيكةً سريعةً ، وتكون في ذاتها غيرَ معتادة الوقوع . والعلاماتُ الصغرى كثيرة جداً منثورة في كتب السُنَّةِ المطهرة ، وإليك خمسةٌ أحاديثُ جاء فيها بعضُ العلاماتِ الصغرى :

١ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ من أشراطِ الساعةِ أنْ يَقلَّ العلمُ ، ويكثرَ الجهلُ ، ويفشوَ الزنا ، ويشربَ الخمرُ ، ويقلَّ الرجالُ ، ويكثرَ النساءُ ، حتى يكونَ لخمسينِ امرأةً القِيمُ الواحدِ » . رواه البخاري ١ : ١٦٢ و ١٦٣ و ٩ : ٢٨٨ ، ومسلم ١٦ : ٢٢١ . ومعنى الجملة الأخيرة : أن الرجل الواحد يكون راعياً وقائماً بمصالح خمسين امرأة ، له فيهن الزوجة من الواحدة إلى الأربع ، والباقي لسُنن زوجاتٍ له ، وإنما هُنَّ قريباتٌ من أخوات وأمهات وخالات وعمَّاتٍ وجدَّاتٍ ونحو ذلك .

٢ - عن أنس أيضاً أن النبي ﷺ قال : « من أشراطِ الساعةِ أنْ يَتَباهى الناسُ في المساجدِ » . رواه النسائي في « سننه » ٢ : ٣٢ . وفي رواية ثانية : « لا تقوم الساعةُ حتى يتباهى الناسُ في المساجدِ » . رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان في « صحيحه » كما في « فيض القدير » للمناوي ٦ : ٤١٧ ، وقال في تفسير التباهي : « أي يتباهون في عمارتها ونقشها وتزيينها كفضل أهل الكتاب بكنائسهم وبيعتهم » .

٣ - عن سلامة بنت الحرّ الفزاريّة رضي الله عنها قالت : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ من أشراطِ الساعةِ أنْ يتدافعَ أهلُ المسجدِ لا يجدون إماماً يُصلّي بهم » . رواه أبو داود ١ : ١٥٩ وابن ماجه ١ : ٣١٤ وأحمد في « مسنده » ٦ : ٣٨١ ، واللفظ له ولأبي داود .

*
٤ - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : « بينا النبي ﷺ يُحدِّثُ إذ جاء أعرابي فقال : متى الساعةُ ؟ قال : إذا ضيقتُ الأمانةُ فانتظر الساعةُ ، قال : وكيف إضاعتها ؟ قال : إذا وُسدَّ الأمرُ - وفي رواية إذا أُسئِدَ الأمرُ - إلى غيرِ أهلِهِ فانتظر الساعةُ » . رواه البخاري ١ : ١٣٢ و ١١٩ : ٢٨٥ .

٥ - عن أبي هريرة أيضاً أن رسول الله ﷺ قال : « لا تقوم الساعةُ حتى يَمُرَّ الرجلُ بقبرِ الرجلِ فيقول : يا ليتني مكانه ! » . رواه البخاري

١٣ : ٦٥ ، ومسلم ١٨ : ٣٤ . وروى مسلم ١٨ : ٣٤ أيضاً عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يَمُرَّ الرجلُ على القبر فيتمرغَ عليه ويقولَ : يا ليتني كنتُ مكانَ صاحبِ هذا القبر ! وليس به الدينُ إلاَّ البلاءُ . أي ليس الحاملُ له على التمني هو الدين ، بل البلاءُ وكثرةُ المِحْنِ والفِتَنِ وألوانِ الضراءِ .

أمَّا العلاماتُ الكبرى فقد جاء فيها غيرُ حديث ، من ذلك الحديثُ : ٨ المذكورُ في ص ١٣٢ من الكتاب ، ونصُّه : عن حُدَيْفَةَ بنِ أَسِيدِ الغِفَارِيِّ رضي الله عنه قال : اطَّلَعَ علينا النبي ﷺ ونحن نتذاكِرُ فقال : ماتتْ أكرُون؟ قالوا : نَذَكِرُ السَّاعَةَ ، قال : « إنها لن تقوم حتى تَرَوُا قِبَلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ ، فذَكَرَ : الدُّخَانُ ، والدَّجَالُ ، والدَّابَّةُ ، وطلوعُ الشمسِ من مغربِها ، ونزولُ عيسى ابنِ مريمَ ، ويأجوجَ ومأجوجَ ، وثلاثةُ خُسُوفٍ : خسفُ بالشرقِ ، وخسفُ بالمغربِ ، وخسفُ بجزيرةِ العربِ ، وآخرُ ذلك نارٌ تخرجُ من اليمَنِ تطردُ الناسَ إلى مَحَشَرِهِمْ ، . رواه مسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه كما سيأتي تخريجه .

وهذه العلاماتُ الكبرى هي التي تولى شَرْحَهَا هذا الكتابُ ، وهو بين يديك . نسأل الله تعالى أن يحفظنا من الفِتَنِ ما ظهر منها وما بطن ، وأن يحفظ علينا وعلى ذُرِّيَّاتِنَا وأهلينا وذوينا والمسلمينَ والمسلماتِ إيماننا به سبحانه حتى نلقاه وهو راضٍ عنا ، اللهمَّ نَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ يا أرحمَ الرَّاحِمِينَ ، وصَلِّ على أشرفِ خلقك وأكرمِ رسلك سيدنا محمدَ سيدِ الشفعاء يومَ القيامةِ وعلى آله وصحبه والتابعينَ وسلِّم تسليماً كثيراً .

وكتبه

حلب ١ / من رجب سنة ١٣٨٥

عبدالقيش أبو غدة

خادم العلم بمدينة حلب
وقفه الله

ترجمة المؤلف

مستخلصة مما كتبه تلميذه أستاذنا العلامة البارع الجامع لأنواع الفضائل الشيخ أبو المحاسن محمد يوسف البتوري حفظه الله تعالى، في كتابه المانع الكبير: «نفحة العنبر من هدي الشيخ الأنور» وفي مقدمته أيضاً لكتاب «عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام» من طبعته الثانية، وفي مقدمته لكتاب «فيض الباري على صحيح البخاري» ومقدمته لكتاب «مشكلات القرآن»، وثلاثتها من تأليف الإمام الكشميري رحمه الله تعالى.

وملخصة أيضاً مما كتبه تلميذه أستاذنا العلامة المحقق الأرشد كبير تلامذة الإمام الكشميري الشيخ محمد بدر عالم، المجاور الآن في المدينة المنورة في مقدمته أيضاً لكتاب «فيض الباري على صحيح البخاري» جزأها الله خيراً.

وقد كنت عزمت على تعريف القراء بالإمام الكشميري في صفحتين أو ثلاث، ولكن وجدته - إن فعلت ذلك - هاضماً لمقام الشيخ ومُججفاً بحق القراء، فاستوفيت في ترجمته بعض الاستيفاء، فكانت هذه الصفحات الطويلة، ولكنها قطرة من مزن ما كتبه شيخنا العلامة البتوري سلمه الله تعالى وكرمه.

الإمام الكشميري

هو إمام العصر، ومؤسّد الوقت، المحدث المفسّر، الفقيه الأصولي، المتكلم النظائر، الصوفي البصير، المؤرخ الأديب، الشاعر اللغوي، الباحث النقاد، المحقق الموهوب، الشيخ الإمام محمد أنور شاه الكشميري^(١)،

(١) يقول عبد الفتاح أبو غدة ملخص هذه الترجمة وناسجها: ليست هذه الألقاب =

ابن الشيخ مُعَظَّم شاه ، ابن الشاه عبد الكبير التُّرُورِي الكشميري . جاء سلفُهُ من بغداد إلى الهند ، وزلوا مئلتان ، ثم رحلوا منها إلى لاهور ، ومنها إلى كشمير ، فأصبحت لهم مُستقرّاً ومقاماً .

وُلِدَ صبيحة يوم السبت السابع والعشرين من شوال سنة ١٢٩٢ في قرية وُدَوَان - بوزن لُبْنَان - التابعة لمدينة كشمير : جَنَّة الدُّنْيَا وزهرة الرَّبِيع الدائم . وكان والده عالماً تقيّاً كبيراً شيخاً في الطريقة السُّنَّوَرِيَّة ، وكانت والدته سالحة عابدة ، يتيمّة دهرها في الورع والزهد والعبادة . فنشأ في بيت علم وصلاح ، في رعايةٍ دقيقة ، وتربيةٍ عجيبية .

ولما بلغ الخامسة من عمره شرَعَ في قراءة القرآن فحتم التزليل العزيز ، وقرَعَ من عِدَّة رسائل بالفارسية في عامين على حضرة والده ، ثم شرَعَ في قراءة الكتب الفارسية المتوارثَ قراءتها في أهل بلده من كتب الأدب الفارسي من النظم والنثر ورسائل الإنشاء وكتب الأخلاق ، من مؤلّفات الشيخ سعدي الشيرازي ، والنظامي ، والأمير خسرو الدهلوي ، والعارف المحقّق الجامي ، والمحقّق جلال الدين الدُّوَانِي وغيرهم ، فبرَعَ فيها ما شاء الله تعالى ، وحوثى علماً بتلك الكتب الفارسية والعلوم المتعارفة حتى فاق الأمثال والأقران ، وأشير إليه من فضلاء بلده بالبنان ، وحصلت له ملكة في صياغة النظم الفارسي وإنشاء النثر ، ولم تتم له بعدُ عشرُ سنواتٍ من العمر . وقد ورثَ ذلك عن والده ، فقد كان والده شاعراً مُجيداً بالفارسية ، وكان عالماً فاضلاً في الفرائض والعلوم الرياضية وبعض العلوم الآلية ، فأصبح الشيخ شاعراً وفاضلاً في تلك العلوم التي في بيته . قال تلميذه العلامة البنوري أستاذنا حفظه الله تعالى : « سمعتُ الشيخَ رحمه الله تعالى يقول : إني قرأتُ كتب الفارسية الرائجة في بلادنا خمسَ سنوات ، وبقيتُ في تعلّم العلوم العربية خمسة أعوام » .

= من قبيل المديح والاطراء ، ولا المبالغة والتضخيم ، وإنما هي من الحقائق التي تحلّ بها الامام الكشميري رحمه الله تعالى ، يعلم ذلك من اطلع على تأليفه وذاخر علومه . ولست - والمحدثه - ممن يكيل المديح جزافاً والثناء اعتسافاً .

وكان رحمه الله تعالى من مُستهلّ طفولته على ذأبٍ نادرٍ عجيبٍ في التحصيلِ واكتسابِ العلومِ والمعارفِ ، فقد كان لا ينامُ مضطجعاً إلا ليلةَ الجمعة ، وما عداها يَسْتَهْرِ لِيَالِيَهُ بِالطَّالِمَةِ ، وإذا غلبه النَّعَاسُ نامَ جالساً . كما أَخْبَرَ به صاحبه وتلميذه العلامة الجليل الشيخ مشيئةُ الله البجنوري .

وتجلّت بوارقُ ذكائه المتوقّد وثبوغه المُجَاجِبِ في فاتحةِ قراءته على أوّل شيخٍ من شيوخه وهو والدُهُ ، وقد تحدّث عن ذلك فقال : « كان يَسْأَلُنِي في درسٍ ومختصر القُدُوري » أسئلةٌ أحتاجُ في الإجابة عنها إلى مطالعة كتاب (المهداية) ثم فوّضتُ دراستَهُ إلى عالمٍ آخر فجعل يشكو من كثرةِ سؤالاته، وكان خارجَ دراستِهِ ساكناً صامتاً ، لا يَرغَبُ فيها يرغب فيه الصّبيانُ والأطفال من الملاعب، وأُتيتُ به إلى شيخٍ عارفٍ مُجَاجِبِ الدعوة في بلادنا ، فلما رآه قال : سيكونَ أعلمُ أهلِ عصره . ورأى بعضُ أعلامِ عصرنا تعليقاته على كتبه الدّراسية ففرّسَ فيه بأنه سيكونَ غزّاليّ عصره ، ورأزيّ دهره .

ثم شرّع في تحصيل العلوم العربية وغيرها على علماء بلاده : كشمير وتوابعها ، ففرغَ من الصّرفِ والنحو وقدرٍ صالحٍ من الفقه وأصوله والمنطق وغيرها في حولين فصاعداً ، ولما ارتوى من علوم أهل بلده سافر في حدود سنة ١٣٠٧ إلى مديرية (هَرّارة) على حدود كشمير من جهة الفنجاب الشمالي ، وكانت محطّاً لحدّائق العلوم الدّرسية والأساتذة المتقنين ، فمكثَ فيها نحو ثلاثة أعوام ، قرأ فيها كتبَ المنطق والفلسفة والهيئة وغيرها . وكان علمُ الفقه وعلمُ الفتوى في كشمير مما يُنسابُ في حلّبة رهانه ، فأصبح الشيخُ فقهياً مُفتياً لا يُدرِكُ شأوه ، ولا يُشَقُّ له غبار ، حتى أفتى فيها المفتين والفقهاء في الحوادث والنوازل والفتاوى العقيمة ، ولم يفتقر إلى مراجعة كتاب . قال تلميذه الأرشد شيخنا الشيخ محمد بدر عالم حفظه الله تعالى : سمعت الشيخ يقول : كنتُ أفتي للناس بكشمير حين بلغتُ من عمري اثني عشرة سنة ، وكنتُ أطلع الشروحَ من كتب الفقه والنحو حين تمّ من سنّتي تسعٌ حجج .

يبدأ أنه لم تقتنع نفسه الطاموحُ بذلك القدر الذي حصله في معاهد (هزاره) ومدارس كشمير ، ولم تثق به عائلته ، بل كان يتردد ظمناً وأواماً إلى درك حقائق العلوم والتبحر فيها ، فشد الرحل إلى أكبر مركز علمي في بلاد الهند : (دار العلوم) في قرية ديويتند ، بقرب دهلي عاصمة الهند ، وكانت (دار العلوم) حقاً قرطبة الهند وأزهرها ، وكانت ساحتها مستنيرةً بجهازة العلوم الثقيلة والمقلية وفحولها ، فأدرك الشيخ فيها رجالاً جمَعوا إلى علومهم الناضجة الرسمية : علوم المرفاء والأولياء ، وجمَعوا إلى دقة المدارك وإصابة الرأي : رفق القول وصدق اللمحة ، أصحاب هيئة ووقار ، وأصحاب سنّة وورع وزهد وتقوى ، فكانوا علماء عرفاء ربانيين أضياء ، فكسبته صحبتهم وإفادتهم علماً صحيحاً ، ورأياً صائباً ، وشغفاً باتباع السنّة ، وبهاء في الملكات الفطرية ، وجمالاً في الأخلاق والآداب .

وكان أكبر هؤلاء الأجلة وأجلّهم شيخ العالم ، ومُسندُ الوقت ، رُحلة الأقطار وشيخ العرب والعجم : الشيخ محمود حسن الديويتندي رحمه الله تعالى ، وكان هذا الشيخ مرقباً من علوم القرآن والسنّة والحقائق والمعارف من شيخه : فدوة الأمة رشيد أحمد الكشكوهي ، وبحر المعارف والعلوم محمد قاسم الثاوثوي قدس الله رُوحها .

فوجدَ الشيخ الكشميري عند شيخه الشيخ محمود حسن ضالته التي ينشدها ، والعلوم التي يتطلّبها ، فلأ من معارفه ومداركه قلبه ولبّه ، وعبّ منها ونهل ، كما لقي في ديوبند أيضاً العلامة المحدث الشيخ محمد إسحاق الكشميري ثم المدني ، فاستكمل ما بقي من العلوم ، وقرأ على هذين الشيخين كتب الحديث الشريف كما يقول : « قرأت » صحيح البخاري « و » سنن أبي داود « و » جامع الترمذي « والجزءين الأخيرين من « الهداية » على شيخ العالم شيخنا محمود قدس سيره ، وقرأت » صحيح مسلم « و » سنن النسائي « الصغرى و » سنن ابن ماجه « على الشيخ محمد إسحاق الكشميري رحمه الله تعالى .

وقرغ من قراءة هذه الكتب سنة ١٣١٣ وتخرج من ديوبند علماً فاضلاً ،
 نابغاً في العلوم روايتها ودرايتها ، في مقتبل شبابه ، فاستترقت إليه البيوت
 وتملقت به القلوب ، وأشير إليه بالبنتان .

ثم ذهب إلى دهلي وفوض إليه الدرس في « مدرسة عبد الرب »
 فدرس فيها عِدَّةَ شهور ، ولم يلبث أن تفرس فيه بعضُ صلحاء أصدقائه
 ورقائه الشيخ محمد أمين الدهلوي مخايل النجابة الباهرة فأصرَّ عليه أن يتنهد
 بتأسيس مدرسة عربية في دهلي ، فاستجاب لذلك ، وقام مُشتمراً عن ساعد
 الهمة ، وساعداً على ذلك بعضُ أهل المهمة العالية من أولي الخير وأرباب
 الفضل والثروة (١) ، وافتتحت مدرسة سُمِّيَتْها : « المدرسة الأمينية » باسم

(١) قال عبد الفتاح : زرت في رحلتي إلى الهند وباكستان نحو ثلاثين
 مدينةً من كبار المدن وصغارها ، كما زرت كثيراً من القرى التي جاءت في طريق
 الرحلة ، فكانت كلُّ بلدة وأكاد أقول أيضاً : كلُّ قرية لا تخلو من مدرسة أو
 مدارس لتعليم الشريعة الفراء ، وكانت كلُّها : مبانيها ، ومكتباتها ، ومسكنُ
 الطلبة ، ومسكنُ الأساتذة في بعضها ونفقائها الدائمةُ العاليةُ : تبرعاً من أهل
 الخير والإيمان ، وأذكرُ على سبيل المثال بلدة (ملتان) من الباكستان الغربي ،
 وهي بلدة صغيرة ، فيها مدارس كثيرة ، زرت منها بحسب ما تيسرت لي زيارته
 ثلاث مدارس : مدرسة أنوار العلوم ، ومدرسة قاسم العلوم ، ومدرسة خير
 المدارس . ورأيتُ في مدرسة (خير المدارس) مزايا لم أرها في سواها من
 مدارس الهند وباكستان ، فهي ذات أقسام خمسة : قسم لتعليم قراءة القرآن ،
 وفيه ٨٣ قارئاً ، وقسم لحفظ القرآن غيباً ، وفيه ١٧٩ حافظاً ، وقسم لتعليم
 الصغار من الطلبة ، وفيه ٢٢٠ طالباً ، وقسم لتعليم الكبار ، وفيه ١٧٩ طالباً ،
 وقسم خامس مستقل في مكانه لتعليم البنات صغيرهن وكبيرهن ، وعددهن ٢٩٠
 طالبةً ، ويقرأ هؤلاء الطالبات في السنة النهائية ما يقرأ الطلاب فيها ، وهو
 الكتب الستة من الحديث الشريف : « صحيح البخاري » ، « صحيح مسلم » ، =

رفيقه المولوي محمد أمين الدهلوي ، وشاع صيتها في أقطار الهند ، وقصّدت من كلّ جانب ، وشرّع الشيخ نفسه يُدرّس فيها العلوم وأعظم الكتب من الحديث والتفسير والبيان والعقول وغيرها ، وبقي على الإفادة والتدريس فيها عِدَّةَ سنين .

ولما بسّقت فروع تلك (المدرسة الأينية) ، واستكملت وجودها وكالها ، وقامت تنتشر العلم في ربوع تلك الديار ، وتخرّج على يد الشيخ فيها المتخرّجون ، وتروى من فيضه المتناقون : أغراء الحنين إلى مآلتيه ومهواه : كشمير ، فامتطى هوجاء الوجد ، وودّع قلوب المحبين حسرة ، بل شخّص مفادراً للأشباح ، ومستصحباً معه القلوب والأرواح .

ثم أقام في كشمير ثلاث سنوات فأسس فيها مدرسة دينية سمّاها : « الفيض العام » ، فدرّس فيها وأفتى ، ونصح الأمة قلماً ولساناً ، وسمى في إصلاح كثير مما راج هناك من البدع والرسوم التحدّثية ، فأبّ الله به الصدّع ، وأقام به الأمر ، وانقشعت بوجوده سحائب الجهل التراكمية ، وتألّأت آثار السنة النبوية الشريفة .

= « سنن أبي داود ، و « سنن النسائي » ، و « سنن الترمذي » ، و « سنن ابن ماجه » ، و يقرآن معها كتاب « مشكاة المصابيح » . وقد رغب مدير المدرسة شيخنا ومجيزنا الشيخ خير محمد حفظه الله تعالى ونفع بأنفاسه المباركة من إحدى الطالبات أن تقرأ حديثاً وتشرّحه ، فقرأت من وراء حجاب حديثاً من « صحيح البخاري » بسنده و متنه قراءة عربية صحيحة فصيحة ، ثم شرّحته فدلّت على علم وفهم .

وميزانية هذه المدرسة مئة ألف روية ، كلّها من أهل الخير والإيمان ، بارك الله فيهم . ولا تتناول كل تلك المدارس المنتشرة في طول الهند وباكستان وعرضها درهماً واحداً من الحكومة ، وإنعامت ورتدهم وتتمو وتتسع على إمداد أصحاب الغيرة والثروة من المسلمين لا غير أبقاهم الله وأجزل مثوبتهم .

ثم اشتاق إلى زيارة بيت الله الحرام ، وإلى حرَم رسول الله ﷺ ، فوقَّقه الله إلى زيارتها سنة ١٣٢٣ ، ومكث في مكة - زادها الله مجداً وكرامة - عيدةً شهوراً يُطِفيءُ ضرامه بالطواف واليهاباكياً ، ويلتجئ متشبثاً بأستار الكعبة الطاهرة في دُلج الليل داعياً ومُنادياً . ثم حثَّه حادي الشوق إلى المدينة الطيبة - زادها الله شرفاً وحرمة - فاستحثَّ العزيمة وشدَّ الرحال إلى روضة النبي الكريم ﷺ ، فليث في المدينة المنورة برهة من الدهر يُروي غليله ، ولقبي فيها الشيخ الفاضل الشيخ حسين الجيسر الطرابلسي مؤلف الرسالة الحميدة ، والحصون الحميدة ، ولازمه مدةً وأجازه الشيخ الجيسر بأسانيده في الحديث . كما لقي رجالاً من أكابر علماء البلاد الاسلامية ، وذاكرهم في مُهِمَّات السائل .

واغتنم فرصة قرَّبه من مكاتب المدينة المنورة الخطيئة وخاصةً مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت الحسيني ، و المكتبة المحمودية ، وكان فيها ذخائرٌ نادرة فانكبَّ على مطالعة نفايسها من التفسير والحديث وغيرها ، حتى طفح صدره بعلوم تلك الأسفار الزاخرة . ثم عاد إلى وطنه يطوي في ضميره الرجوع إلى الحرمين والمجاورة في جوار رسول الله ﷺ حتى لقاء الله .

ومكث غيرَ بعيد حتى شغِفَ فؤاده بما كان نواه من العودة إلى المدينة الطيبة ، فاجتمع إليه أعيانُ القوم ، واكتنفه شرفاءُ الناس ، وتماوروه من كلِّ جهة ، وألحوا عليه بالزواج ، وعرضوا عليه بناتهم وتنافسوا في إيثاره وتكريمه ، واستأثروه بمرضِ المزارع والحداثق ونقودِ الأموال ، فلم يكن منه أن يميل إلى شيءٍ منها ، وخالها أغلالاً في عنقه وسدّاً منيعاً دون مآربه ومهواه ، فأصرَّ على عزِّمه وهجرته ، فأخذ عصا التئسيار وغادرَ أسرتهُ ومنشأه ومثماهُ متوجَّهاً إلى الجوارِ النبويِّ على صاحبه الصلوات الطيبة والتحيات المباركة .

وبلغ (ديوبند) يُريد زيارة شيخه شيخ العالم محمود الحسن ووداعته،

وأبناء بما نَوَى من الهجرة إلى الحرمين الشريفين ، فأمره الشيخ رحمه الله بفسخ العزم ، وأبرم عليه الإقامة في (ديوبند) ، وكان شيخه رحمه الله تعالى تفرس فيه آثار النجاة الباهرة ومخايل الكرامة من قبل ، وسبر علمه وفضلته وتقواه وورعه ، وشاهد ما فطر عليه من الأخلاق الفاضلة والناقب العالية ، وأحس الشيخ أيضاً أن البلاد الهندية ومركز العلوم الاسلامية : (ديوبند) أحوج إلى فيضه وعلومه ، فأمره بفسخ العزم ، وأبرم عليه الإقامة في (ديوبند) ، واستلم منه زاد سفره وزود به آخر الحج والزيارة ، ولم يكن الشيخ الأنور يُفترط في امثال أمر شيخه ، فأقام في (ديوبند) وكان ذلك في حدود سنة ١٣٢٤ ، وأمره الشيخ بتدريس « صحيح مسلم » و « سنن النسائي » و « سنن ابن ماجه » ، فنَهَض بها على خير وجه ، وكانت فاتحة تدرسه في (دار العلوم الديوبندية) واستمر على ذلك إلى سنة ١٣٣٢ .

ثم أراد شيخه رحمه الله تعالى سفر الحج والزيارة في سنة ١٣٣٣ فاستخلفه نائباً عنه في التدريس وصدر المدرسين في (ديوبند) ، فأخذ يُدرّس « الصحاح الستة » وأمّهات كتب الحديث ، وكان من أمر الشيخ محمود حسن أن أسرته الحكومة البريطانية الناشئة في جزيرة مالطة ! فبقى الشيخ الأنور قائماً مقامه عشرين سنة في تدريس « صحيح البخاري » و « جامع الترمذي » وغيرهما .

وكان أهل (دار العلوم) في يوبند على ثقة بإقامته ، ولكنهم حاذروا أن يعود إلى عزمه من الهجرة إلى الحجاز ، فخطب له حضرة ناظم الجامعة الديوبندية ومديرها خبطة في بيته شرف وفضل من بيت السيادة الفاطمية ، ليكون زواجه سداً دون عزائم ، فزوجوه وجعلوه صاحب أهل وعيال بل صاحب شيكال وعقال .

وكان في (دار العلوم) لا يأخذ راتباً على تدرسه إلى عيدة أعوام من إقامته في ديوبند ، ثم لما تأهل واضطر إلى مصالح البيت ونفقة العيال أحس

بذلك أهل الجامعة فيسئواله راتباً يكفي لحوائج الحاضرة ، ووصلت إليه في ذلك الحين دعوة من « المدرسة العالية » في كلكتة لشعبة صدارة المدرسين براتب ثمانمائة روية مشاهرة ، وكان راتبه في جامعة ديوبند أقل من خمسين روية ، فلم يرعجه هذا المبلغ الضخم عن قناعتيه ومقاميه وقال : يكفيني ما تيسر لي ، ولا حاجة بي إلى ما سواه .

وقضى في (ديوبند) ثلث عمره ، وجرت من قلبه وفمه ينابيع الحكمة ومناهل العلم والعرفة ، حتى استفاد منها رجال من الأفاضل وأماثل العصر ، وتصلح من لا يحصى عدداً من الأصغر والأكبر ، وتخرج عليه في تلك البرهة أكثر من ألفي خير يبعث عن قرأ عليه أمهات كتب الحديث وأصبح أباه محطاً للرجال وملجأ للرجال ، وأصبح وجوده العلمي سبباً لاصلاح طرُق التدريس ، واتجه للعلماء مناهج التحقيق وطرُق التفصي من معضلات المسائل وغوامضها ، وكان درسه جامعاً للبدائع تتحل به مشكلات مسائل العلوم ، واقتفى العلماء المدرسون أثره ، بيد أنه (لاقتى كالك) . فكان يتدفق بجره المتلاطم من علومه فيفيض من كل ناحية يسقي الأجادب ويروي غليل العلم .

وكان يجود بثروته العلمية وإعارة مذكراته الحاوية ذخائر العلم ونفائس الأبحاث على السائلين بباحة نفس وإخلاص وحرص على الافادة غريب .

وقد سئل في عهد إقامته بديوبند صارمه المصنوب لكمع عروق الشئثة الباغية القاديانية بلاغاً وإرشاداً ودَرساً وتأليفاً ، واستحث الهيمم المتوانية ، والجهود المتقاعدة من العلماء الطلبة وعامة الأمة الاسلامية إلى مقاومة هذه الفئة الضاللة المضلّة ، ومكامة هذه الكارثة الدهشاء والبلية العمياء حتى أيقظ الرقود ونبه الغفلة من أصحاب الجرائد والجلالت بمكايد هذه الحادثة الفظيمة ودسائسها فأثر الله نهضته الباركة ، وترك تلك الفتنة على مثل مشفر الأسد ، وأقبرها بسعيه وعلمه ولسانه وقلمه ، فكان

له مينة عظيمة على رقاب الأمة الحمدية ، ومأثرة جليلة لا تنسى على تقادم الأزمان .

ثم لما استقال من منصبِ دَرْمِيهِ في ديوبند سنة ١٣٤٦ اكتنفته الدعواتُ والمخلصون من كل جهة للتدريس برواتب سامية ومُشَاهراتٍ عالية ، حتى بلغتْهُ الدعوةُ من فَوَّابِ دهاكه في باكستان الشرقي بألفِ روية مشاهرة فلم يقبل . حتى أصرَّ عليه المشتاقون إلى بركاته من أهل الخير والدُّثُورِ بأن يَمْتِطِي صَهْوَةَ الرحيل إلى كُجُراتِ الهند ، وبعدَ إلحاحٍ وإصرارٍ شديدين أجاب الشيخُ الدعوةَ لمصالحِ تفرُّسِهَا ، فرحَلَ في شهرِ ذي الحجة من خاتمة سنة ١٣٤٦ إلى قريةٍ في نواحي سُورَتِ تسمى (دايل) ، على بعد نحو ١٥٠ ميلاً من مدينة ممباي . ونشأ بوجوده الميمون هناك : معهدٌ كبيرٌ يُسَمَّى « الجامعة الإسلامية » ، وإدارةٌ تأليفٌ ونشرٌ تُسَمَّى « المجلس العلمي » ، ونشرٌ المجلس المذكور في حياة الشيخ وبمده كتباً قيمة في شتى المواضع قاربت الأربعين كتاباً ، سارت في المشارق والمغارب ، وتلقفتها العلماء من كل جانب .

وبقي الشيخ في (دايل) خمسَ سنوات يشغل بالدرس والتأليف والوعظ والتذكير ، فارتجت تلك البسيطة من طينِ حديثه ، وسارت الركبانُ تروي أحاديثَ فيضه وبركاته ، وتشكرُ جَدِّبَاءَ الهند أياديَ غمامه ، واستنارتْ هاتيك البقاعُ بنوره علماً وعملاً وسُنَّةً وحديثاً ، فقوِّمَ بوجوده المبارك الأود ، وأصلح اللهُ به هناك أُمَّةً ، وقد غلبتْ عليه رِقَّةٌ في آخر حياته الشريفة ، فكان يأخذ البكاءَ في دروسِهِ ومواعظه فكان يبكي ويبكي رحمه الله تعالى .

غير أنه اجتوى التَّعَامُ في (دايل) وما طاب له هواؤها فابْتُلِيَ بداءِ البواسير ، فعاد إلى (ديوبند) واشتد عليه هذا الداء المصْال حتى نَزَفَهُ الدَّمُ ، واستولتْ عليه الصفراءُ إلى أن حان أجلُّهُ فتوفِّي رحمه الله تعالى في الثلثِ الأخيرِ من ليلة الاثنين ثالثِ صفر سنة ١٣٥٢ وصُلِّيَ عليه صلاة الجنَّازة في

ساحة (دار العلوم) في جموع غفيرة لا يعلم عددها إلا الله تعالى ، وحُمِلَ على الأيدي وفي حبّات القلوب ، ودُفِنَ بالجانب الجنوبي من مُصلّى السيد فيوبند في بقعة كان وصّى بشرائها ، وكان كما قال أحدُ شعراء مكة في الوزير جمال الدين وكان مُحسِنًا إليهم - كما نقلته من خطّ الشيخ الكشميري نفسه الصوّر مع تعليقاته على كتاب « آثار السنن » للشموي - :

سَرَى نَعَشُهُ فَوْقَ الرَّقَابِ وَطَالَمَا سَرَى جُودُهُ فَوْقَ الرَّكَابِ وَنَائِلُهُ
يَمُرُّ عَلَى الْوَادِي فَتُحْنِي رِمَالُهُ عَلَيْهِ وَبِالنَّادِي فَتُحْنِي أَرَامِلُهُ*

وكما قال هو في رثاء شيخه العالم محمود حسن الديوبندي رحمه الله تعالى من قصيدة طويلة رثائه :

سَرَى نَعَشُهُ فَوْقَ الرَّقَابِ وَطَالَمَا سَرَى عَلِمُهُ فَوْقَ الرَّكَابِ وَرَقَمَا
وَشِيَعُهُ الْخَلُوقُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَلَمْ أَرَ إِلَّا الْفَضْلَ كَانَ مُؤَدِّعَا
وَلَمْ أَرَ مِثْلَ الْيَوْمِ كَمَا كَانَ بَاكِئًا وَمَا كَانَ دَمْعُ الْقَوْمِ دَمْعًا مُضِيعَا
وَلَمْ أَدْرِ مَاذَا كَانَ إِحْرَامُ حَجَّهِ أَكَانَ قِرَانًا أَمْ أَجَازَ تَمْتِعَا ؟

وقد خلف من أولاده الذكور ثلاثة أبناء ، هم : محمد أزهر شاه ، وهو أكبرهم ، ومحمد أكبر شاه ، وهو أوسطهم ، ومحمد أنضر شاه ، وهو أصغرهم ، وكلهم أهل علم وفضل ، كما خلف والده المحترم محمد معظم شاه ، وقد جاوز عُمره المبارك يوم وفاة الشيخ الأنور مئة وعشْرَ سنين ، رحمة الله عليها جميعاً .

وقد رثاه الأفاضل من العلماء والأدباء بقصائد رثائه طويلة ، نُفِثَتْ الأحناء وتُدْمِعُ القلوبَ والعيون ، وأنشِدَ في حَقْلِ تَأْيِينِهِ بعد يومٍ من وفاته سبع عشرة قصيدة بالعربية والأوردية ، وبلَغَتْ القصائدُ التي رُثِيَ بها أكثرَ من ستين قصيدة . وكنت أوردتُ منها في هذه الترجمة الشيء الكثير ، ولكن ضيق الصفحات الباقية للترجمة ألزمني بالاعتصار الجحف ! فعدرةً للشعراء وللقراء .

وكان مما قاله تلميذه أستاذنا العلامة المحدث الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي صاحب التعليق الصبيح شرح مشكاة المصابيح، وشيخ الحديث وصدر المدرسين الآن في الجامعة الأشرفية في لاهور حفظه الله تعالى من قصيدة تجاوز الستين بيتاً :

وَحِيفَظْ وَضَبِطْ بِمَدِّ شَيْخٍ مَبْجَلٍ كَبَدْرٍ مُبِينٍ فِي دُجَى اللَّيْلِ أَلِيلِ كَمَثَلِ الْبَخَارِيِّ أَوْ كَنَحْوِ ابْنِ حَبَلِ إِلَيْهِ أَتَيْتُ شَدَّ الْمَطَايَا وَأَرْحَلِ مَعَارِفَ أَعْلَامِ الْهُدَى وَالْتَفَضَّلِ لِخَطْبِ جَلِيلٍ قَدْ أَنْفَخَ بِمَنْزِلِ بِكْتِهِ فَوَاحِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ الْعَلِيِّ لِثَلِّ مَسِيحِ الْقَادِيَانِ الْمُخْبَلِ وَكُلِّ مُنَاغٍ فِي نَبْؤَةِ مُرْسَلِ لِفَقْدِكَ أَرْوِيهِ بِدَمْعِ مُسْتَلْسَلِ وَقَسَّرْتَ آيَاتِ الْكِتَابِ الْفَضَّلِ يُبَارِي شَذَاهُ رُوحَ مَيْسِكٍ وَمَتَدَلِ وَرَحْمَتُهُ تَنْتَرِي كُودِقِي مُجَلْجَلِ أَيَا رُوحَ عِبْدِي هَذِهِ الْجَنَّةُ أَدْخَلِي	سَلَامٌ عَلَى حِفْظِ الْكِتَابِ وَسُنَّةِ أُرِيدُ بِهِ ثَوْرَ الْهُدَايَةِ أَنْوَرَا فَقَدْ كَانَ إِعْجَازاً لَدَيْنِ نَبِيِّنَا وَكَانَ إِمَامًا حَافِظًا وَمُعَدَّنَا وَقَدْ كَانَ قَرْدًا حَافِظًا الْمَصْرَ جَامِعَا بِكِي عَالَمِ الْإِسْلَامِ طَرًّا وَأَعُولَا بِكَاهِ مَقَامِ الدُّرِّسِ وَالْوَعْظِ حَاسِرَا فَقَدْ كَانَ رُمْحًا سَمَّهْرِيًّا مُتَّقَمَا وَأَيْضًا هِنْدِيًّا لِكُلِّ مُسْتَلِيمِ تَوَقَّيْتُ يَا رَأْسَ الثَّقَمِي تَوَكَّيْتُ شَرَحْتَ لَنَا الْآثَارَ إِذْ هِيَ أَشْكَتُ وَعَطَّرَ أَفْقَ الْأَرْضِ مِنْ عَرْفِكَ الشَّدَى عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ يَا قَبْرَ أَنْوَرِ بِفَضْلِكَ يَا مَوْلَى الْوَرَى قَدْ لَرُوحِهِ :
--	---

ورثاه تلميذه أستاذنا العلامة الشيخ الأديب الجامع البارع أبو المحاسن محمد يوسف البنوري بقصائد طويلة من بعضها هذه الأبيات :

وَالطَّيْرُ تَشْدُو فَتَبْدُو مِنْهُ أَشْجَانُ وَالْمُرْنُ تَبْكِي فَسَالَتْ مِنْهُ بِلْدَانُ تَزَلْزَلَتْ مِنْهُ أَطْوَادُ وَأَرْكَانُ وَمَا لَنَا حَلَّ بِالْإِسْلَامِ سُلُوكَانُ شَيْخُ الْحَدِيثِ قَقِيهِ النَّفْسِ سَفِيَانُ	الْمِينُ ذَرَّافَةٌ وَالْقَلْبُ حَيْرَانُ الشَّمْسُ كَاسِفَةٌ وَالْأَرْضُ مَظْلَمَةٌ خَطْبُ أُمِّ عَلَى الْإِسْلَامِ مُكْتَنِفًا وَالْحَوَادِثُ سُلُوكَانُ يُسْهَلُهَا قَضَى الْحَيَاةَ إِمَامُ الْقَوْمِ مَرَّجَمُهُمُ
---	---

فيا رَوَى من حديث العلم لإخوانه
 فيما سَرَى بحديث الفضل رُكبان
 الشَّاه أنورُ نورُ الله برهان
 رأسُ الخييار غيُّ النفس سلطان
 من حوله لرحى الأعلام جولان
 تحيرت مستنطقاً : هذا لنُمان ؟
 لكنه لليون العلم إنسان
 والمين ذارفة القلب ولهان
 من فهمه خلفايا العلم ميزان ؟
 كما بكى ليفراق الإلف هيبان

بحرُ البهور وشمسُ التجد مسندهم
 حبرُ ورحةُ أعلامٍ وحجبتهم
 شيخُ الشيوخ إمامُ المصنِّر عمدتهم
 شمسُ الورى فيلسوفُ الشرق قدوتهم
 بحرُ محيطُ لغزى كلِّ معضلة
 إذ ظلَّ يكشفُ من فقه الحديث لنا
 وفي الزمان شيوخُ لا عِدادَ لهم
 سارت جنازته والقومُ في جزع
 من بالحديث ومنزى الفقه مُنطلق
 تكيه جامعةُ الاسلام من قلق

ونحتم هذه المراتي بقصيدة رثانة رثاه بها تلميذه أستاذنا العلامة المحقق
 الفقيه المحدث الأديب سماحة الشيخ محمد شفيع مفتي باكستان ، حفظه الله تعالى
 ورعاه ، وهي قصيدة طويلة بلغت ٥٢ بيتاً ، نذكر منها الأبيات التالية :

بَضجُ السَّما والأرضِ والبدو والقرى
 ووَهْرُ أمدِّدْراً والفلائم أبْحُرًا
 كذلك أقصى مسجيدٍ ثم منبرًا
 ديثَ وقرآنًا كَرِيمًا مفسرًا
 وعلماً وحليماً ثم للفضل جَمهرًا
 وورعاً وزهداً في الشَّاء مشهراً
 إذا زُرْت زُرْتِ الدرِّ تَمَّتْ مَتورا
 بَعني بعدَ اليومِ شيخِي أنورا ؟
 وزُهري وقتٍ لا خِلافَ ولا مِرا
 ولكنَّهُ غيِّمَ النوايبَ أمطرا
 وربِّي : جَنّاحا العِلمِ منه تكسرا
 لِنشرِ علومِ الدينِ قامَ مُشَمرا

تعي بك ناعِ سَحرةَ الفجرِ فانبري
 وأبكي الجبالَ الشَّامخاتِ نَحِيه
 وأبكي دُرُوساً والمدارسَ جَمَّة
 ثَمينا بجماعِ العلومِ وسيئها الح
 فلم أدرِ أرمي عالماً أم عوالماً
 وفقهاً وتحديثاً ورأياً وحكمة
 ووجهاً طليقاً باسمًا مثهللاً
 أحقاً عبادَ الله أن لستُ زائرًا
 بُخاري عصرِ ترمِذيِّ زمانه
 فلوانها رُزءُ من الدَّهرِ واحدُ
 فما فقدهُ واللهُ فقدهُ لواحدٍ
 فظاب ثرى من راح في الله واغدى

وشيدَ أركانَ الهدى وأنارَها
 وسنّفَ آذانَ الورى بفرائدِ
 ولم يألُ في إعلاءِ دينٍ وشهره
 فواهاً له من رائجِ حلّ روضة
 سقّتها غواصي رحمة الله بكرة
 عليه سلامُ الله ما ذرّ شارق
 ومدّرَ بنيانَ الضلالِ وبدّرًا (١)
 فجادت بها الأبحانُ عُذوةَ أدبر (٢)
 تراه لوجه الله سيفاً مشهراً
 بجنبِ المُصلّى لا يزالُ منصّراً (٣)
 فعادت سواربها بليل مكرّراً
 بعيدة من صلّى وصام وكبّراً

كلمات من تناء العلماء الروّابِر عليه

قال حكيم الأمة أشرف علي التهانوي : إن وجود مثله في الأمة
 الاسلامية آية على أن دين الاسلام حقّ وصدق . وقال محقق العصر الشيخ
 شبّير أحمد المباني صاحب «فتح الملهم شرح صحيح مسلم» : فقيده المثل عديم
 العديل ، بقیة السلف حجة الخلف ، البحر المواجه والسراج الوهاج ، لم
 تر العيون مثله ولم ير هو مثل نفسه ، آية من آيات الله وحجة الله على العالمين .

وقال تلميذه شيخنا العلامة الكبير الشيخ محمد بدّر عالم وقد لازمه
 عشر سنين : لو نظرت إليه لنظرت إلى رجل يضاهي الذهبي في حفظه ، ويمائل
 ابن حجر في إتقانه وضبطه ، ويساجل ابن دقيق العيد في عدله ودقّة نظره ،
 ويشابه البحري في شعره ، ويحاكي سحبان في بيانه وسحره ، بلى وليس ذلك
 بعيد من صنع الله عز وجل .

وليس على الله بمستكبر
 أن يجمع العالم في واحد

-
- (١) أي قض بنيان الضلال ومزقه تمزيقا .
 (٢) يشير شيخنا بقوله هذا إلى قول الزمخشري في رتاه شيخه أبي مضر :
 وقائلة : ما هذه الدرر التي تساقط من عينك سمطين سمطين
 فقلت : هو الدر الذي كان قد حشا أبو مضر أذني تساقط من عيني
 (٣) قبره الشريف بجنب مصلي العيد في ديوبند ، يزار من كل وارد إليها ، وقد زرته
 صباح يوم الخميس ٢٨ / من ربيع الأول سنة ١٣٨٢ رحمة الله تعالى وإيانا .

وقال شيخنا المحقق الكوثري: لم يأت بعد الشيخ الامام ابن الهمام مثله في استتارة الأبحاث النادرة من ثنايا الأحاديث ، وهذه برهة طويلة من الدهر . وقال مفتي الهند الشيخ محمد كفاية الله الدهلوي يوم مات الامام الكشميري : إنه لم يميت ، ولكن مات العلم والعلماء .

مُرْتَبَةٌ مِنْ شِعْرِ الْإِمَامِ الْكُشْمِيرِيِّ

للشيخ الكشميري الهندي* الدار واللسان شعر كثير بالمرية ، يفيض عذوبة ورقة وبلاغة ، حبذا لو جمعه بمضج حبيبه في ديوان وجمع معه المراني التي قيلت فيه بالمرية لكان ذلك زاداً كريماً للأدب العربي يستحق الدراسة مثل أو أكثر من دراسة شعر المهجر .

فمن قصيدته في رثاء شيخه قاسم النانوتوي مؤسس دار العلوم الديوبندية :

قِفَا يَا صَاحِبِي عَلَى الدِيَارِ	فَيْنَ دَأْبِ الشَّجِي " هُوَى اَزْدِيَارِ
وَعُوجًا بِالرَّبَاعِ رَبَاعِ اُنْسِ	فِي الْمِرْأَى لَشِيءٍ كَاصْطِبَارِ
وَإِنْ عَادَتْ دَوَارِسَ بَعْدَ هَجْرِ	فَقَدْ كَانَتْ مَعَاهِدَ الْمَزَارِ
فَتَلِكْ بِلَادُهَا أَمْضِيَتْ فِيهَا	لِيَالِيٍّ مِنْ طِيْوَالِ أَوْ قِصَارِ
أَسَابِقُ رَيْبَ دَهْرٍ ذِي فَنُونِ	وَإِنْ سُرَاهُ لَا يَدْرِيهِ دَارِ
كَأَنَّكَ مَا سَمِعْتَ حَدِيثَ شَيْخِ	تَلَقَّاهُ الْخِيَارُ عَنِ الْخِيَارِ
وَذَلِكَ قَلَمُ الْبَرَكَاتِ طَرًّا	يَسِيرُ بِذِكْرِهِ تَالِ وَقَارِ
إِمَامُ حَافِظِ سَنَدِهِ هَيْهَامُ	لِسَانُ الْحَقِّ مَقْدَامُ الْكِبَارِ
مَجْدُهُ هَذِهِ الْأَعْصَارُ حَقًّا	مَحْدُوثُهَا وَذَلِكَ فَتْحُ بَارِ

ومن قصيدة له في رثاء شيخه شيخ العالم محمود حسن الديوبندي :

قَفَانِكِ مِنْ ذِكْرِي مَزَارِ فَنَدَمَا	مَصِيْفًا وَمَشَقِي ثُمَّ مِرْأَى وَمَسْمَا
بِحَاوِيْنِي دَارِيٍّ وَجَارِيٍّ عَلَى الْبُكْيِ	وَلَمْ أَرِ إِلَّا بَاكِيًّا تَمَّ مَوْضِعًا
وَإِنْ كَانَ تَمَّا لَيْسَ بِشَفِيٍّ وَيُشْتَقِي	بَشِيءٍ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنِكَ تَدْمَا
نَهَضْتُ لِأَرْتِي عَالِمًا ثُمَّ عَالِمًا	حَدِيثًا وَقَفَّاهُ ثُمَّ مَا شِئْتَ أَجْمَا
كَبِيرًا بِنَادَى فِي السَّمَوَاتِ أُمَّةً	إِمَامَ الْهُدَى شَيْخًا أَجَلًا وَأَرْفَمَا

الروامح الكشميري والتأليف

لم يعزم الشيخ رحمه الله تعالى أن يؤلف رسالة أو كتاباً تأليفاً مقصوداً ، وإنما جُلَّ مؤلفاته آمالٍ أخذت عنه أو نصوصٌ وتقييداتٌ أفردتها بعنوان ، ولو أنه عكف على التأليف لسالت بطلحاء العالم بعلومه وتحقيقاته ، ولأنارت أنواره اللامعة أرجاء دنيا العلم على سمعتها وكثرة أهل الفضل المتقدمين فيها ، وإنما آثف بدافع الضرورة الدينية والخدمة الإسلامية عِدَّةَ رسائلٍ سنذكرها في عداد مؤلفاته .

غير أنه كان من ريمان عمره عاكفاً على جمع الأوابد وقيّد الشوارد في برنامجته وتذكرته ، وكان يبدل وُسْعَه في حلّ المشكلات التي لم تنحلّ من أكابر المحققين قبله ، وكان كلُّها سنح لخاطره الشريف شيء من حلّ تلك العضلات قيّده في تذكرته ، وإذا وقف في كتب القوم على شيء تنحلّ به بعض العضلات أحال إليه برمز الصفحة إن كان مطبوعاً .

وكان من عادته مطالعة كل كتاب يقع له من أي علم كان ولأي مصنف كان ، يطالعه من البدء إلى الختام ، وكان كلُّ جهده في مطالعته كتب المتقدمين وكتب أكابر المحققين ، وكان له مطالعات واسعة عميقة في كتب أئمة الفنون من كتب الفلسفة الطبيعية والفنون الإلهية وكتب الحقائق والتصوف والعلوم العربية من النجوم والرمل والجفر والموسيقى والقيافة وفنون الهندسة والرياضي بفنونه ، وكان يقول : ربما طالمت مجلدات ضخمة من كتاب ولم أفر منه شيء جديد ، وربما ظفرت بشيء يسير أو فائدة جديدة . فاذا اطّلع على شيء نفيس أو تحقيق عال قيّده . وله في تقييد تلك النواذر أصول براعها . منها : أنه كان يقيّد ما تنحلّ به عقدة من مشكلات القرآن أو الحديث أو الفقه أو الأصول أو علم الحقائق أو الكلام والتوحيد أو غيرها من العلوم ، وأحياناً يقيّد ما يفيد الحل استشهاده وتنظيراً ، أو ما يفيد تزييفاً وإسقاطاً لما هو ضعيف أو خطأ . ومن : أنه إذا

سنع له دليل المذهب الحنفي أو ما يفيد في التأيد والاستشهاد ، أو كان له نوع ارتباط به على ما لحه حدسه الدقيق - وربما يخفى على الناس - قيده .

ومنا : أنه إذا كان له تحقيق خاص في مسألة أو حل* مشكل خلاف ما ذهب إليه الجمهور ، ثم سنع له في أثناء مطالعته شيء يفيد أو يُعزّزُه أو كان دليلاً على ما يرومه : كان يفيد ، كسألة العماء ، ما ماهية العماء ؟ وهل هو قديم أو حادث ؟ وما أريد به في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كان الله في عماء ، في الحديث رواه الترمذي في «سننه» من حديث رزين العقبلي ، كسألة الروح والنفس وما يتعلق بها من تحقیقات لم تسمها الأذان ، وكحقيقة التجلي ومسألة الميئة الدهرية والسبقة الدهرية والميئة الرمديئة الأزليئة ، وكيفية إفاضة الوجود من الباري سبحانه على المقدورات الأزلية ، وحقيقة علم الثال ونحو هذا من مشكلات العلوم ومضلات الفنون المويصة .

وقد اجتمعت عنده في تذكّره ذخائر ونفائس زاخرة لحسل* كثير من المضلات الطلية ، وألّف رسائل في بعض مهمّات الحديث الشريف من السائل الخلافة بين المذاهب ، ملنقطاً لها من ذخائر تذكّره باصرارٍ وإلحاحٍ من تلامذته وأصحابه ومستفيديه ، ذنباً عن حریم المذهب الحنفي ، ودفعاً لظن الحُسّاد والجاهلين . وهذه الرسائل الذهبية كانت دُرراً مبعثرة في تذكّره ، ربّها بعض ترتيب على شكل تأليف ، ولذا تراها مشحونة بالإحالة على الكتب من غير سرد لجميع عباراتها ، ولورُتّبّت رسائله تلك على عادة مؤلّف العصر الحاضر أو على عادة المولعين بالبسط والتفصيل لصارت كل رسالة منها أضاف ما هي عليه .

مؤلفات المطبوعة

١ - فيض الباري على صحيح البخاري . في أربعة مجلدات كبار ، وهو من أماليه في الدرس ، وفيه الجديد الكثير من العلم الذي لا تراه في شروح

البخاري للسابقين . وحسبك أن تعلم لجلالة « فيض الباري » أن الشيخ قد اعتنى بـ « صحيح البخاري » درساً وإملاءً وخوضاً وإيماناً ما لم يتن بما عداه ، فطالع « صحيح البخاري » قبل الشروع في تدريسه (ثلاث عشرة مرة) من أوله إلى آخره مطالعةً بحثً وغصً وتحقيقً ، وطالع من شروحه « فتح الباري » و « عمدة القاري » و « إرشاد الساري » وغيرها نحو ثلاثين شرحاً من الشروح المطبوعة والمخطوطة في ديار الهند والحجاز ، وكان « الفتح » و « العمدة » كأنهما صفحة بين عينيه ، ثم وفقً لتدريسه ما يربو على عشرين مرةً دراسةً إيماناً وتدقيقً ، ثم أملى هذا الكتاب العظيم . وقد نهض بجمعه وتدوينه أرشد تلامذته أستاذنا العلامة الجليل النبيل معين العلم والصفاء والتقوى الشيخ محمد بدر عالم حفظه الله تعالى وقبيل صنيعةً ، وقد علن عليه في مواطن كثيرة تعليقات نافعة للخاتمة زادت في بيان قدر الشيخ وسُمُو إمامته ، وقد طبع بمصر سنة ١٣٥٧ بنفقة « المجلس العلمي » في الهند ، ثم نفذت نسخته من سنين .

٢ - المرف الشذّي على جامع الترمذي . في ٤٨٨ صفحة ، جمعه في غاية السرعة والارتجال بمض أصحاب الشيخ وهو الشيخ محمد جراح لاستفادة نفسه ، ثم سَنَحَ لبعض الحريصين على علوم الشيخ طبعه ، فطبع كما هو ، وكان الشيخ رحمه الله تعالى في آخر عمره قد عزم على شرح مبسوط لجامع الترمذي ، غير أنه لم يمهل الأجل المحتوم للقيام بهذه المنقبة العظيمة .

٣ - أماليه على « سنن أبي داود » . طبع منه جزء واحد ، والباقي لم يطبع .

٤ - أماليه على « صحيح مسلم » جمعها تلميذه العلامة الفاضل الشيخ مناظر أحسن الجيلاني ولم تطبع ، وإنما ذكرتها والحاشية التالية هنا لناسبة المقام .

٥ - حاشية على « سنن ابن ماجه » . وكانت عند تلميذه العلامة الجليل أستاذنا الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي صاحب « التعليق الصبيح » ثم ضاعت !

٦ - مشكلات القرآن . في ٢٧٨ صفحة ، وفيه من فتوحات الشيخ وفيوضاته الشيء الكثير .

- ٧ - فصل الخطاب في مسألة أم الكتاب . ١٠٦ صفحة .
- ٨ - خاتمة الخطاب في فاتحة الكتاب بالفارسية . في جزء لطيف .
- ٩ - نيل الفرقدين في رفع اليدين . في ١٢٥ صفحة .
- ١٠ - بسط اليدين لنيل الفرقدين . في ٦٤ صفحة .
- ١١ - كشف الستر عن مسألة الوتر . في ٩٨ صفحة .
- ١٢ - إكفار الملحددين في ضروريات الدين . في ١٢٨ صفحة .
- ١٣ - عقيدة الإسلام بحياة عيسى عليه السلام . في ١٢٢ صفحة .
- ١٤ - تحية الإسلام في حياة عيسى عليه السلام . في ١٤٩ صفحة .
- ١٥ - التصريح بما تواتر في زول المسيح . وهو هذا الكتاب .
- ١٦ - خاتم النبیین ، بالفارسية . في ٩٦ صفحة .
- ١٧ - مرآة الطارم لحدوث العالم . في ٦٢ صفحة .
- ١٨ - ضرب الخاتم على حدوث العالم . رسالة في أربعمائة بيت من الشعر في مسألة إثبات وجود الصانع الحكيم سبحانه .
- ١٩ - سهم الغيب في كبد أهل الريب ، بالفارسية ، في ٢٢ صفحة . رده فيه على بريلي زعم أن الرسول ﷺ يعلم علماً محيطاً بجميع الكليات والجزئيات مما كان ويكون من غير فرق بينه وبين علّام الغيوب إلا فرق العَرَضية والذاتية!
- ٢٠ - كتاب في الذب عن «قرة العينين» ، بالفارسية في ١٩٦ صفحة . وسبب تأليفه أن للشاه ولي الله الدهلوي كتاباً في تفضيل الشيخين على الختّنين اسمه «قرة العينين في تفضيل الشيخين» ، فصنّف بمض الروافض كتاباً في رده فضّل فيه الختّنين عليها ، فهض الشيخ منتصراً للحق في المسألة وذاباً عنه فأثف هذا الكتاب .
- ٢١ - الإتحاف لمذهب الأحناف ، وهو حواش وتعليقات نافمة مائة جامعة علّقها الشيخ الكشميري على كتاب «آثار السنن» لعصريه المحدث المحقق النيموي رحمها الله تعالى . وقد أحسن «المجلس العلمي» صنفاً بتصوير نسخة الشيخ من كتاب «آثار السنن» المطبوعة في مجلدين التي ملأ الشيخ بخطه

الجميل حواشيا وبياضاتها التي بين السطور عِلماً ثميناً وإحالات كثيرة غنية بالتحقيق وقد سُمّيت هذه التعليقات والحواشي عندما صُوِّرت بمد وقائه : « الإتحاف لذهب الأحفاف » . قال شيخنا البَنُوري في مقدمة « فيض الباري » ص ٢٦ « ولو خُرِّجَتْ حوالاتها لأصبح ذلك كتاباً في عِدَّة أجزاء » . انتهى .

قلتُ : تخريجُ حوالاتها وتبويبها وتنسيقها ذنبٌ ثقيلٌ في عنق أصحاب الشيخ وتلامذته الأفاضل ، لا تبرأ منهم إلا بالبحار . وكنت اقترحتُ على مؤسس « المجلس العلمي » رجل الخير والبيرّ الفضال الحاج محمد بن موسى ميا السملكي الإفريقي رحمه الله تعالى تأليفَ لجنة من أصحاب الشيخ وتلامذته بأقام الله تعالى ، ليقوموا - خاصة - بتنسيق هذه التعليقات والحواشي ، فانه لا يستطيع النهوض بهذا الواجب العظيم أحدٌ غيرهم ، وهم الذين صاحبوا الشيخ وتلقوا أفكاره وعرفوا مقاصده . ثم جدّدتُ هذا الاقتراح على نجل ذلك المحسن الكريم الأخ الفاضل الشيخ إبراهيم حين تفضّل بزيارتي في حلب عقب عودته من الحج إلى بيت الله هذا العام ، فوعد خيراً واستبشرنا خيراً ، وأعود فأقول : أداء هذا الحق لا يزال محطّلاً من تلامذة الشيخ الصّدُور البُدُور ، وأرجو أن تكون كلمتي هذه - وهي موجّهة إليهم جميعاً - دافماً جديداً للقيام بقضاء هذا الدين ، وأخصّ بالمطالبة به على وجه أخصّ - أستاذنا وبركتنا أبا المحاسن العلامة الموهوب الشيخ محمد يوسف البَنُوري ، فانه على كثرة أعماله النافمة وخدماته الإسلامية والعلمية آتاه الله من الصبر والدأب والعون ما يمكنه النهوض بهذه الأثرة الباقية .

وإن تنسيق « الإتحاف » إتحافٌ يجعلُ الهُمامَ الفاضلَ الناهضَ به في مناجاةٍ دائمةٍ وسَمَرٍ علميٍّ مستمرٍ مع الشيخ الأتور قدّسَ سيره العزيز . وما أظن السادة الشجّب تلامذة الشيخ برك الله فيهم بمفرطين بهذا « الإتحاف » ولا بمُعْرِضين عن استعادة تلك الذكريات الفسالية الحبية إلى قلوبهم إذ كانوا يسمعون كلام الشيخ إمام العصر أو يخدمونه ، ولا بتخطّفين عن ذلك العمل الجليل الذي يُقرَن اسمُ القائم به باسم الشيخ إمام العصر على وجه الدهر ، وهو إلى هذا : يُعدُّ من خير العمل الذي يدخره المؤمنُ لآخرته ، وإنّا لنتظرون .

وهذه الكتب مطبوعة في بلاد الهند في حياة الشيخ وبعده وفاته ، وكلها مؤلفات طافحة بأبحاث سامية لا يستغني عنها كل من حاول بحثاً دقيقاً في موضوعها .

مؤلفاته المخطوطة

للشيخ رحمه الله تعالى مؤلفات قلمية ورسائل خطية في كثير من مشكلات العلوم والفنون ، فمنها : ١ - رسالة في الهيئة ، ألفها لبعض أصحابه . ٢ - رسالة في مسألة من الهندسة وعلم المرايا والنظائر . ٣ - رسالة في حقيقة العلم . ٤ - رسالة في مسألة يا شيخ عبد القادر شيئاً لله . ٥ - رسالة في مسألة الذبيحة لغير الله . ٦ - رسالة في علم المعاني مما استدركه على السكاكي والخطيب ، استنبطها الشيخ من كتاب سيويه والكشاف وعروس الأفراح لبهاء الدين السبكي . ٧ - مقامات أدبية على نهج مقامات الحريري ، ومنها منقوطة كلها ، ومنها غير منقوطة كلها ، ومنها كالمقامة المرائية إحدى كتابها معجزة والأخرى مهملة . ٨ - حواش على « الأشباه والنظائر » لابن نجيم . ٩ - رسالة في مسألة صلاة الجمعة واختلاف الأئمة في شروط أدائها ، لم تتم . ١٠ - حواش على حواشي الزاهدية على شرح القطيئة . وله تلخيصات مهمة نادرة . منها : ١١ - تلخيص إمام الكلام للعلامة عبد الحي اللكنوي . ١٢ - تلخيص أدلة الحنفية من « فتح القدير » لابن الهمام ، وصل فيه إلى كتاب الحج . ١٣ - تلخيص لبعض المهمات من كتاب « حياة الحيوان » للدميري . وله مذكرات قيمة في كثير من الأبحاث الحديثة ، من « مسألة المثل أو المثيلين في وقت الظهر » وحديث « من أدرك ركعة من الصبح » وفي أحاديث تختص بذوي القرنين وبأجوج وماجوج وغيرها مما رآه مشكلاً في موضوعه .

وأولى هذه الترجمة الطويلة كآثارها أن تسمى لثمناً وقبسات من جوانب حياة الامام الكشميري وعلومه وفضائله ومزايده ، فانه حقاً كما قيل :

بحر العلوم فما بحرٌ يُشاكله لونتقبوا الأرض لم يوجد له شبه

مقدمة

التصريح بما تواتر في نزول المسيح

بقلم

تلميذ المؤلف العلامة المحقق البارع الشيخ محمد شفيع
مفتي باكستان حفظه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي بيده مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ، وهو يُجِيرُ
ولا يُجَارُ عليه ^(١) . خَلَقَ المَوْتَ والحَيَاةَ لِيَلْوَكُم ، وهو
يُحْيِي وَيُمِيتُ ، فَيَخْذُلُ من يَشَاءُ وَيَرْفَعُ من يَشَاءُ إِلَيْهِ .
والصَّلَاةُ الطَّيِّبَاتُ عَلَى سَيِّدِ الرُّسُلِ وَخَاتَمِ الأنْبِيَاءِ وَمَنْ
لِوَاءِ الحَمْدِ يَوْمَ القِيَامَةِ بِيَدِهِ ، أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ : مُحَمَّدٌ
المَبْعُوثُ إِلَى كَافَّةِ العَرَبِ والعَجَمِ وَأوسَطِ الأُمَمِ ، وسَائِرُ
الأنْبِيَاءِ كَالأُمَّةِ لَدَيْهِ . المُؤَيَّدِ أُمَّتَهُ : أَوْلَهَا بَدَاةَ الشَّرِيفَةِ ،
وَأوسَطَهَا بِالمَهْدِيِّ ، وَآخِرَهَا بِعِيسَى المَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(٢)

(١) أي هو وحده الذي يُمِيتُ وَيُحْيِي ، ولا يُنْقَضُ عَلَيْهِ
جِوَارُهُ وَجِيَاهُ .

(٢) لفظ (المَسِيحُ) لَقَبٌ لِسَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .
ولشُهْرَةٍ هَذَا اللَّقَبُ قَدْ يَتَقَدَّمُ عَلَى الأَسْمِ كَمَا جَاءَ فِي الآيَةِ الكَرِيمَةِ :
« اسْمُهُ المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ » .

وأصله بِالعِبْرِيَّةِ : مَسِيحًا ، وَمَعْنَاهُ : المُبَارَكُ ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ
النَّخَعِيُّ : مَعْنَاهُ الصَّنَدِيقُ ، وَقَالَ غَيْرُهُ : المُلِكُ . وَمَعْنَى (عِيسَى) :
السَّيِّدُ ، وَهُوَ مَعْرَبٌ يُشَوِّعُ .

يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْهِ ^(١) . وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
وَأَزْوَاجِهِ أَجْمَعِينَ ، خُصُوصًا عَلَى صَاحِبَيْهِ وَخَتَنَيْهِ ^(٢) .

أَمَّا بَعْرٌ : فيقول أحوجُ الناسِ إلى مُحَمَّدِ الشَّفِيعِ :
المَبْدُ الضَّعِيفُ المَدْعُوُّ مُحَمَّدُ شَفِيعِ الدُّيُوبَنْدِيِّ ، غُفِرَ لَهُ
وَلِوَالِدَيْهِ وَمَشَائِخِهِ أَجْمَعِينَ :

= وَقَالَ جَمْعَةٌ مِنَ العُلَمَاءِ : إِنَّ (السَّيِّحَ) لَفِظٌ عَرَبِيٌّ مُسْتَقَرٌّ
مِنَ النَّسْحِ ، ثُمَّ اخْتَلَفُوا فِي وَجْهِ إِطْلَاقِهِ عَلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقِيلَ :
لأنَّهُ مُسَيِّحٌ بِالْبَرَكَةِ وَالْيَمَنِ ، وَقِيلَ : لأنَّهُ كَانَ يَمْسَحُ يَدَيْهِ عَيْنَ
الْأَكْمَةِ فَيُبْصِرُ ، وَذَا العَاهَةِ فَيَبْرَأُ ، وَقِيلَ : لأنَّهُ كَانَ يَمْسَحُ
الأَرْضَ بِسِيَاحَتِهِ فَلَمْ يَسْتَكِينْ فِي كَيْنَ وَلَا بَيْتَ ، وَقِيلَ : لأنَّ
الجَمَالَ مَسَحَهُ أَي شَمِلَهُ وَظَهَرَ عَلَيْهِ ، وَقِيلَ غَيْرُ هَذَا .

وَلَا تَصَافِي بَيْنَ هَذِهِ الأَسْبَابِ فَقَدْ اجْتَمَعَتْ لَهُ هَذِهِ الفَضَائِلُ
وغيرُهَا . وَيُقَالُ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَسِيحُ الهُدَى أَيْضًا ، لِلتَفَرُّقَةِ بَيْنَهُ
وَبَيْنَ المَسِيحِ الدَّجَالِ الَّذِي سَمَّاهُ رَسولُ اللهِ : مَسِيحَ الضَّلَالَةِ .

(١) مُثَنَّى (مَهْرُودَةٌ) بِالذَّالِ المَعْجَمَةِ ، وَيُرْوَى (مَهْرُودَتَيْهِ)
بِالذَّالِ المَهْمَلَةِ ، أَي يَنْزِلُ فِي حَلَّتَيْنِ فِيهَا صُفْرَةٌ خَفِيفَةٌ ، وَهَذَا كِنَايَةٌ عَنِ
جَمَالِ مَلْبَسِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَمَا سَأَلْتِي يَانَهُ فِي شَرْحِ الحَدِيثِ الخَامِسِ .

(٢) مُثَنَّى (خَتَنَ) . وَالخَتَنُ كُلُّ قَرِيبٍ كَانَ مِنْ قَبْلِ الزَّوْجَةِ كَالأَبِ وَالأَخِ ،
وَكَذَلِكَ (الخَتَنُ) زَوْجُ البنتِ ، وَزَوْجُ الأختِ . وَالمَرَادُ بِالخَتَنَيْنِ هُنَا : سَيِّدُنَا عِشْمَانَ ،
وَسَيِّدُنَا عَلِيَّ ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، زَوْجَا بِنْتِي رَسولِ اللهِ ﷺ .

إِنَّ هَذَا جُزْءٌ وَجِيزٌ فِيمَا تَوَاتَرَ مِنْ أَحَادِيثِ النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ ، فِي نَزُولِ الْمَسِيحِ عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ - عَلَى نَبِينَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَحَيَاتِهِ ، وَرُجُوعِهِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ إِمَامًا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْأُمِّيَّةِ ، وَخَلِيفَةً مِنَ الْخُلَفَاءِ النَّبَوِيَّةِ .

أَلْفَهُ بَقِيَّةُ السَّلَفِ ، حُجَّةُ الْخَلْفِ ، آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ، شَيْخُنَا وَمَوْلَانَا السَّيِّدُ : مُحَمَّدٌ أُنُورِ شَاهِ الْكَشْمِيرِيِّ ، صَدْرُ الْمُدْرَسِينَ ^(١) بَدَارِ الْعُلُومِ الدِّيُوبَنْدِيَّةِ الْهِنْدِيَّةِ ، الَّتِي هِيَ مَرْكَزُ الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي هَذِهِ الْأَقْطَارِ ، بَلْ مَرْجِعُ الْعُلَمَاءِ وَالْفُضَلَاءِ مِنْ سَائِرِ الدِّيَارِ ، وَسَمَّاهُ :

التصريح بما تواتر في نزول المسيح

ثُمَّ أَمَرَنِي بِتَرْبِيهِ وَتَرْجُمَتِهِ بِالْهِنْدِيَّةِ ، تَوْسِيمًا لِمَائِدَتِهِ ، وَنَعْمِيًّا لِفَائِدَتِهِ ، وَإِتِمَامًا لِمَائِدَتِهِ ، فَاعْتَمْتُ رِضَاهُ ، وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

وَكَانَ الْبَاعِثُ عَلَى جَمْعِهِ وَتَرْبِيهِ : فَتْنَةُ عَمِيَاءَ ، وَدَاهِيَةَ

(١) أَي كَبِيرٍ وَمُقَدِّمٍ .

دهياء، ظهرت في بلادنا الهندية، على شكل الفرقة الميرزائية، التي ادعى رئيسها الأول (ميرزا غلام أحمد): النبوة بل الأفضلية على أكثر الأنبياء عليهم السلام! وتفوه أنه هو المسيح الذي أخبر رسول الله ﷺ بنزوله في آخر الزمان (١).

(١) رأيتُ استكمالاً للتعريف بالقادياني الضال أن أذكر جملة مما قاله فيه المؤلف الإمام الكشميري طيب الله ثراه، في فاتحة كتابه: «عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام»، قال رحمه الله تعالى:

«إن الشقي غلام أحمد القادياني المولود سنة ١٢٥٢، الذي ينتهي أصله إلى مفول التتر، وعلى قوله: إلى بأجوج ومأجوج، لعنه الله وأخزاه، كان سؤمى ونؤى من أول أمره ما يدعيه ويفتره آخراً. ولكن الشقي تدرج وتلون في دعواه تلون الحيرباء، وسلك في تمشية مرآته وتعمية كلامه طريق الزنادقة والباطنية، واتبع الباطية والبهائية سواء بسواء!».

فادعى أولاً: أنه مجدد ومثيل المسيح (١). ثم انتقل إلى أنه المهدي النور والمسيح المهود، ومن الجانب الآخر أوله أنه نبي لغوي، أو ظلي، أو بُروزي، على معانٍ اخترعها الزنديق! ثم تحوّل إلى أنه نبي غير تشرابي، ورسول كذلك، ثم إلى أنه نبي تشرابي ورسول كذلك، باح به في «أربعينه»، وتحدثى =

(١) وكان يده ظهور هنا الضال بهذه الدعاوي الباطلة سنة ١٣٠٦.

ثم دَعَاهُ هذا المَوسَى إِلَى دَعَاوِي بَاطِلَةٍ ، وَأَمَانِي عَاطِلَةٍ ،

= بِالآيَاتِ ، وَجَمَلَ وَحْيَهُ كَالْقُرْآنِ ! كما في كتابه « نزول المسيح » ص ٩٩ وغيره .

وَجَمَلَ يُحاكي معجزاتِ سائرِ الأنبياءِ ومعجزاتِ خاتمِ الأنبياءِ أيضاً ، فَجَمَلَ (مسجده) (١) : السجدة الأقصى ! وَجَمَلَ (قريته) : مَكَّةَ السَّيْحِ ! وَجَمَلَ (مدينة لاهور) : مدينته ! وَجَمَلَ لسجده منارةً سَمَّاهَا منارةُ السَّيْحِ ! فَجَمَلَ كُلُّ ما يَمَلُقُ بَيْسِي عَلَيْهِ السَّلَامَ عَلَى التَّأْوِيلِ إِلَّا النَّارَةَ فَانْهَارَتْ تَهِيئاً بِذَلِّ الْمَالِ ، وَقَدْ جَمَعَهُ مِنْ أَتْبَاعِهِ ، وَجَمَلَ مقبرةً سَمَّاهَا مقبرةُ الجَنَّةِ ! مَنْ دُفِنَ بِهَا فهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ! وَسَمَّى أَزْوَاجَهُ أَهْمَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ! وَأَتْبَاعَهُ أُمَّتَهُ !

وَمِنْ أَكْبَرِ ما ادَّعَاهُ مِنْ معجزاته : نِكَاحُ الرَّأَةِ السَّمَاءِ بِمُحَمَّدِي بَيْكَمَ ، مِنْ فَوْقِ السَّمَاءِ ، وَجَمَلَهُ وَحْيًا أَوْحَى إِلَيْهِ بِهِ ! وَاسْتَمَرَ عَلَى لَعْنَتِهِ تِلْكَ نَحْوَ عَشْرِينَ سَنَةً ، وَقَالَ فِيهِ : إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ كُلَّ مانِعٍ مِنْ هَذَا النِّكَاحِ ، وَإِنِهَا تَدْخُلُ فِي نِكَاحِهِ ، وَإِنَّهُ تَقْدِيرٌ مُبَرَّمٌ ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ شَيْطَانُهُ فِيهِ كما ذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِ : « دَنْجَامِ أَتْمَمَ » : « كَذَّبُوا بِآيَاتِي وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ، فَسَيَكْفِيكُمْ وَيُرُدُّهَا إِلَيْكَ ، أَمْرٌ مِنْ لَدُنَّا إِنَّنا كُنَّا فاعِلِينَ زَوْجَانِهَا ، ! وَهَكَذَا يَتَلَقَّفُ كَلِمَاتِ الْقُرْآنِ وَيُحْكِيهَا فِي اقْتِرَائِهِ !

وَجَمَلَ ذَلِكَ وَحْيًا سَمَويًا يُقَطِّعُ بِهِ كَالْقُرْآنِ ! وَجَمَلَ نَبَأَ ذَلِكَ مِيسَارَ سَدَقِهِ وَكَذْبَهُ عِنْدَ كَافَّةِ الْخَلِيقَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالنَّصَارَى وَالْيَهُودِ ، وَأَطْمَعَ وَالِدَ السَّمَاءِ الذِّكُورَةَ بِأَمْوَالِ وَدَارِ وَعِقَارِ ، وَدَلَّاهُ - خَدَعَهُ وَزَلَّفَ لَهُ - بِكُلِّ مَكْرٍ وَحِيلَةٍ ! فَفَضَحَهُ اللَّهُ تَمَالَى عَلَى =

(١) أي جعل المسجد الذي بناه في بلده (قاديان) هو المسجد الأقصى !

حتى ساقته هذه الدماوي إلى إنكار شطرٍ من الدين ،

= رؤوس الأَشهاد وعلى أَعينِ الناس ، ولم يُرزَق ذلك النكاح ، وقد نكحها سلطانُ أحمد ، وأولدها أولاداً والحمد لله على ذلك ، وكان ذلك الشقيُّ أعلنَ إلهامه : أنه إن لم يَمِّ له ذلك النكاحُ فيكون هو أخبثَ من كلِّ خبيث ، فكان كذلك : أخبثَ من كلِّ خبيث !

وكان كلُّ غرضه جَمْعَ الأموال ونيلَ اللذات والشهوات ، فسَقَطَ في الهاوية ، وأبقى داهيةً دهياء للإسلام والمسلمين ، وكفَّرَ من لم يؤمن به كما في « جريدة الحكم » ، ٢٤ أكتوبر سنة ١٨٩٩ ، وفي « حقيقة الوحي » ص ١٧٩ ، وفي مکتوبه المدرج في « الذكر الحكيم » .

وأهان عيسى ابنَ مريم عليه السلام بما تشبَّه منه الأكباد ! ولم يُوجدَ نبيُّ هَجًا نبيًّا أو حَطًّا عليه ، واستمرَّ على دَيْدَنِهِ ذلك إلى أن قال في آخر سنَّةٍ من حياته في « جريدة البدر » : « إني مُدَّعٍ أني رسولُ نبيِّ » ! وفي مکتوبٍ له إلى « جريدة أخبار عام » : « إني على حكمِ الله نبيُّ » . وكذا في « حقيقة الوحي » ص ١٤٩ .

إلى أن أخذَهُ اللهُ تعالى بعد ما أرسلَ مکتوبَهُ إلى مديرِ « أخبار عام » بخمسة أيام أخذَ عزيزٍ مقتدر ، ورَمَاهُ قَضَاءَ اللهِ وَقَدَرَهُ بِالْهَيْبَةِ : - الإسهال - وسَقَطَ على وجهه في حُشَّةٍ - بيتِ الخلاء - واستقرَّ في دار البوار ، وكانت مَوْتَتُهُ موتاً يَمْتِيزُ به المُمْتِيز ، وقد وَصَلَ إلى أمه الهاوية في سنة ١٣٢٦ ، وكان قد وُلِدَ سنة ١٢٥٢ .

ثم إنه لما أراد تخليطَ البحث ، والتليسَ على عوامِّ المسلمين فيما لا يمتلئُ بالموضوع : تملئُ بإشاعة وفاة عيسى عليه السلام ، =

= وَسَوَدَ الْأُورَاقَ وَوَجَّهَهُ بِهِ ، وَجَعَلَهُ شَبَكَةً لِلْعَوَامِّ ، وَكَرَّرَهُ فِي كُلِّ جَعَجَعَةٍ لَهُ !

فصنَّف العلماء لإثبات حياة عيسى عليه السلام رسائلَ حسنة نحو « درة الدراني على متن القادياني » ، و « سيف جشتيائي » ، و « شهادة القرآن » ، وغيرها ، وكانت تكفي ، ولكني أردتُ تمرينَ طَلَبَةِ الدرسِ بهذه المسألة ، وإطلاعَ المسلمين بِمَعْنَى لسانهمِ عربيٍّ من العراق والشام ومصر وغيرها ، فلأمولُ من كافتة المسلمين أن يقوموا بشصرة الدين والذب عن حوزتِهِ ، وبأداء فريضة الإسلام وحقهِ ، وحفظِ المسلمين عن كيدِ هؤلاء الزنادقة وكفرهم البواح ، والله يَهْدِي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم . . انتهى .

وقال العلامة شرفُ الحقِّ العظيم آبادي في كتابه « عون المعبود على سنن أبي داود » ، ٤ : ٤٠٥ - ٤٠٦ « ومن المصائب العظمى ، والبلايا الكبرى على الإسلام أن رجلاً من الملحدين الدجالين الكذابين ، خرج من الفنجاب من إقليم الهند ، وهو مع كونه مُدَّعياً للإسلام : كذَّبَ الشريعة ، وعَصَى اللهَ ورسوله ، وطنى ، وآثَرَ الحياة الدنيا . وكان أوَّلُ ما ادَّعاه أنه مُحَدَّثٌ ومثلهم من الله تعالى .

ثم كَثُرَتْ فِتْنَتُهُ ، وَعَظُمَتْ بَلِيَّتُهُ ، من سنة ستٍ وثلاثمائة وألف إلى السنة الحاضرة وهي سنة عشرين بعد الألف وثلاثمائة . وألَّفَ الرسائلَ العديدة في إثبات ما ادَّعاه من الإلهاماتِ الكاذبة ، والدعاويِ العقليةِ الواهية ، وأقوالِ أهلِ الزندقة والإلحاد ، وحرَّفَ الكليمَ والنصوصَ الظاهرةَ عن مواضعها ، وتفوَّه بما تشعُرُ منه الجلود ، وبما لم يَجْتَرِءُ عليه إلا غيرُ أهلِ الإسلام ، أعاذنا الله تعالى والمسلمين من شروره ونَفْسِيهِ وَنَفْسِيهِ .

وَرَدَّ كَثِيرٍ مِنْ نصوصِ الإمامِ المُبِينِ^(١) ، وتكذيبِ أحاديثِ النبيِّ الأمينِ . وذلكَ لأنَّ النصوصَ الفرقانيةَ ، والأخبارَ

= فمن أقوالِهِ الواهيةِ المردودةِ التي صرَّحَ بها في رسائله : أنَّ نُزولَ عيسى ابنِ مريمَ ورَقَمَهُ إلى السماءِ بجَسَدِهِ العنصريِّ : من الخرافاتِ والمستحيلاتِ .

وَادَّعَى أنَّ عيسى المسيحَ الموعودَ في الشريعةِ الحمديديةِ ، والخارجَ في آخرِ الزمانِ لقتلِ الدجالِ : ليس هو عيسى ابنُ مريمَ الذي توفَّاه اللهُ ورَقَمَهُ إليه ، بل المسيحُ الموعودُ : مثلهُ ، وهو : « أنا الذي أنزلني اللهُ تعالى في القاديينِ . وأنا هو الذي جاء به القرآنُ العظيمُ ، ونطقَتْ به السَّنةُ النبويةُ ، وأما عيسى ابنُ مريمَ فليس بحميٍّ في السماءِ ! » .

وَأَنكَرَ وجودَ الملائكةِ على الوجهِ الذي أخبرتنا به رسولُ اللهِ ﷺ . وَأَنكَرَ نُزولَ جبريلَ عليه السلامُ على النبيِّ ﷺ . وَأَنكَرَ نُزولَ ملكِ الموتِ . وَأَنكَرَ ليلةَ القدرِ . وَبَدَّهَبَ في وجودِ الملائكةِ مذهبَ الفلاسفةِ والملاحدةِ .

ويقولُ : إِنَّ النبوءةَ التامةَ قد انقطعت ، ولكن النبوءةَ التي ليس فيها إلا البشوراتُ فهي باقيةٌ إلى يومِ القيامةِ لا انقطاعَ لها أبداً ، وَإِنَّ أبوابَ النبوءةِ الجزئيةِ مفتوحةٌ أبداً .

ويقولُ : إِنَّ ظواهرَ الكتابِ والسَّنةِ مصروفةٌ عن ظواهرها ، وَإِنَّ اللهُ تعالى لم يَزَلْ يُبَيِّنُ مُرادَهُ بالاستعماراتِ والكنياتِ ، وغيرِ ذلكَ من الخرافاتِ والمقائدِ الباطلةِ . انتهى .

(١) أي القرآن الكريم .

المتواترة الواردة في حياة عيسى عليه السلام ونزوله في آخر الزمان . كانت ردماً بينه وبين مقاصده الياجوجية ، فأتى على جلها بالإنكار والتحريف ، ولم يُبالِ الشقي أن إنكارها وتحريفها : عين إنكار رسالة محمد ﷺ ، وخروج من الإسلام ، ومروق من الدين ! نمود بالله منه .

فادعى الرجل أولاً - مقتفياً آثار اليهودية - أن عيسى ابن مريم عليه السلام قد مات ودُفن في (كشمير) ! ثم أقبل على سائر النصوص البينة والأحاديث الصريحة الواردة في نزول عيسى ابن مريم عليه السلام فجعل يلعب بها ، ويتخبط في تحريفها خبط العشواء (١) ! فزعم أن مراده ﷺ من نزول عيسى عليه السلام في جميع هذه الأحاديث : هو نزول مثله لا عين عيسى ابن مريم النبي الإسرائيلي . فانه قد مات . وبعد هذا التميد وجد مكان القول ذا سعة ، فادعى أنه هو ذلك المثيل الموعود نزوله !!

وكان في صفاته الذميمة وأخلاقه الرذيلة : غنى من أن

(١) العشواء : هي الناقة التي لا تبصر أمامها ، فهي تخبط بيديها

يَتَّصِدِّي أَحَدٌ لِإِبْطَالِ دَعْوَاهُ ، فَانَّ خِصَالَهُ الَّتِي فُطِرَ
 عَلَيْهَا مِنْ أَوَّلِ عُمُرِهِ هِيَ الَّتِي تَكْذِبُهُ فِي كُلِّ مَا ادَّعَاهُ ،
 وَتَفِرُّ عَنْ شَفَاهُ ^(١) ، فَلَا تَكَادُ تَرُكُهُ أَنْ يَسَاوِيَ إِنْسَانًا
 وَقُورًا ذَا مُرُوءَةٍ ، فَكَيْفَ بِالْمَسِيحِ أَوْ مَثِيلِهِ ؟ ! وَمِنْ
 ثَمَّ لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي بَدْءِ أَمْرِهِ ، وَلَمْ
 يَعْجَبُوا بِهَفْوَاتِهِ وَثُرَّهَاتِهِ ^(٢) ، حَتَّى عَادَتْ شَرَارَتُهُ
 جَمْرًا ، وَضَحْضَاحُهُ غَمْرًا ^(٣) ، فَارْجَتْ فِتْنَتُهُ فِي الْبِلَادِ
 وَمَاجَتْ ! وَأَيْقَظَتْ فِتْنًا كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ هَاجَتْ !

وَذَلِكَ لِأَنَّ هَذَا الْبَاقِعَةَ ^(٤) لَمَّا رَأَى أَنَّ النَّاسَ إِنْ
 عَرَفُوا مَا يَلْتَزِمُ الْمَسِيحَ مِنَ الْأَخْلَاقِ وَالصِّفَاتِ ، كَمَا
 هُوَ الْمَنْصُوصُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ، ثَمَّ تَفَقَّدُوهَا فِي نَفْسِهِ

(١) فِي « الْقَامُوسِ » : « فَرَّ الدَّابَّةُ بِفِرِّهَا : كَشَفَ عَنْ
 أَسْنَانِهَا لِيَنْظُرَ مَا سِنُّهَا » . وَ « الشَّعَا - بِالْفَيْنِ - : اخْتَلَفُ نَبْتَةِ
 الْأَسْنَانِ بِالطُّوْلِ وَالْقِصْرِ وَالذَّخُولِ وَالخُرُوجِ » .

(٢) أَي أَبْطَلَهُ .

(٣) الضَّحْضَاحُ : الْمَاءُ الْقَلِيلُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ لَا يَبْلُغُ
 الْكَمِينَ . وَالغَمْرُ ، الْمَاءُ الْكَثِيرُ .

(٤) : الدَّاهِيَةُ .

وخاصوا في التجسس عن دِخْلَتِهِ ^(١) : لَنَفَرَتْ جِئْتُهُ ،
 وَلَعَنَّ مَا يُجِئُهُ ^(٢) ، وَلَمْ يَيْتُقْ فِي يَدَيْهِ إِلَّا الْفَضَّاحَةَ
 وَالخُسْرَانَ ، وَلَآئِهَتْكَ سِتْرُهُ بَيْنَ الْأَخْدَانِ وَالْأَعْوَانِ ،
 فَأَوْحَى إِلَيْهِ شَيْطَانُهُ أَنْ يَصْرِفَ أَفْكَارَهُمْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ
 الَّذِي تَنْفَصِلُ بِهِ الْقَضِيَّةُ عَلَى غَيْرِ مُرْضِيَّةٍ ، وَتَنْجَلِي
 بِهِ الْعَمَاةُ عَنْ خَزَايَا ، إِلَى مَبَاحَثَ لَا مِسَاسَ لَهَا مِنْ
 دَعَاوِيهِ الْبَاطِلَةِ ، وَلَا تُغْنِي عَنْهُ شَيْئًا فِي أَمَانِيهِ الْعَاطِلَةِ : مِنْ
 أَنْ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيٌّ أَوْ قَدِمَات ؟ وَهَلْ رُفِعَ إِلَى
 السَّمَاءِ بِجَسَدِهِ أَمْ لَا ؟ وَهَلْ يَنْزِلُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ هُوَ
 بِنَفْسِهِ أَمْ مَثِيلُهُ ؟ .

وبالمعنى : فَعَمَلَ هَذِهِ الْمَبَاحِثَ أَحْبُوبَةً لِلصَّيْدِ ^(٣) ،
 فَصَرَفَ وَجْهَ النَّاسِ إِلَيْهِ بِهَذَا الْكَيْدِ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّا
 لَوْ سَلَّمْنَا أَنْ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدِمَاتَ مَوْتَةً لَا يَنْبَغُ

(١) دِخْلَةُ الرَّجُلِ بَكَرِ الدَّالِ وَفَتْحِهَا وَضَمُّهَا : نَيْئُهُ وَمَذْهَبُهُ
 وَجَمْعُ أَمْرِهِ .

(٢) عَنَّ الشَّيْءُ : ظَهَرَ . وَمَا يُجِئُهُ : مَا يَسْتُرُهُ وَيُخْفِيهِ .

(٣) الْأَحْبُوبَةُ : الْمَيْسِدَةُ .

بمدها إلى يومِ النُّشُورِ ، وأن الموعودَ نَزُولُهُ هُوَ مَثِيلُهُ لا هو هو ، فقلْ لي : كيف يَسْتَلْزِمُ موثُهُ أَنْ يَكُونَ ذلك الشَّقِيَّ مَثِيلَهُ والمسيحَ الموعودَ؟! بل بينه وبين أمانيه مَهَامِهِ لا تُطَوَى ^(١) ، وَمَوَامِي لا تُنَوَى ^(٢) ، ما لم يَأْتِ عليه بِرُهَانٍ ، ولن يَأْتِيَ به ولو اسْتَظْهَرَ فِيهِ رَأْيَهُ ^(٣) ، أو أَنْزَلَ له مَنكُوحَتَهُ السَّمَاوِيَّةَ ، وَأَنْحَ له كُلَّ الأَنْبِيحِ ^(٤) ، واستغاثَ بِأَخِيهِ الدَّجَالِ المَسِيحِ !

ولهذا كان علينا أَنْ لا نَلْتَفِتَ إلى هذه المباحثِ التي جَعَلَهَا مَشْغَلَةً لِلْفِئَامِ ^(٥) ، وَأُجْبُولَةً ^(٦) لِلْعَوَامِّ ، بل نَسْجُنُهُ

(١) المَهَامِيهِ : الفلواتُ التي لا ماءَ فيها . ولا تُطَوَى : لا تُقَطَعُ لموتِ مَنْ يَسْلُكُهَا .

(٢) المَوَامِي : جمعُ مَوْمَةٍ ، وهي المَفازَةُ والقِلاَةُ الواسِعةُ . كما في « تاج العروس » في (موم) . ولا تُنَوَى : لا تُقَصِّدُ لهلاكِ الداخلِ فيها .

(٣) اسْتَظْهَرَ : استعان . ورَأْيُهُ : شيطانُه .

(٤) الأَنْبِيحُ : الصوتُ مِنْ ثِقَلٍ أو مَرَضٍ ويكونُ بآئِنٍ ،

وَأَنْحَ : صَوَّتَ ذلك الصوتُ .

(٥) هي الجماعةُ الكَثيرةُ مِنَ الناسِ . (٦) : مِصِيدَةٌ .

في أوطانه ، ولا نطلبه إلا عن بُرهانه . ونأخذه باليمين ^(١) ،
ليبين أنه يمين ^(٢) ، ولو أتى بألف يمين ، حتى يقطع منه
الوتين ^(٣) ، فانه لحق اليقين ، وحسرة على الكافرين .

يَدَ أَنَّهُ ^(٤) لما شاعت هذه المباحث في العامة
تسوّشت أذهانهم وكادوا - لولا الله - أن يفتنوا ، لما
قد زوّق به أولئك الضالّون هفواتهم ^(٥) ، وزخرفوا
تحريفاتهم في النصوص القرآنية والحديثية ، ثم خيلوا إلى
الجهلة أن ثبوت هذه المباحث ثبوت لدعواهم ، ودليل
لمسيحة ميرزاهم ، وإنهم من إفكهم : ليقولون ، وقد
حيل بينهم وبين ما يشتهون ، فكروا مكرًا كُبَّارًا ،
وتحدّوا به في المسلمين جهارًا ، فأض ^(٦) البلاء بلاءين ، والرزية
رزية ^(٧) :

(١) : بالقوة (٢) : يكذب .

(٣) الوتين : عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه .

(٤) أي : غير أنه .

(٥) أي زيّنوا هفواتهم للناس ففترّوا بها .

(٦) : فرج . (٧) الرزية والرء : المصيبة .

الأوّل : أنه لو سَكَتَ عليه العلماءُ : لرأى العامةُ في سكوتهم ثبوتَ دعوى المسيحية للميرزا ! وكونه هو المسيح الموعودَ نزولُه في آخرِ الزمان . وإنه هو الارتدادُ الصريحُ ، نمودُ بالله منه !

والثاني : أنَّ مسألةَ نُزولِ المسيح عليه السلام ، وكونه هو عيسى ابنَ مريمَ النبيِّ الإسرائيليِّ بعينه : مما صدعتُ به النُصوصُ القرآنيةُ ، وتواترتُ فيه الأحاديثُ النبويةُ ، وأجمتُ عليه الأمةُ من لدُنْ عهدِ النبيِّ الكريمِ ﷺ إلى يومنا هذا : بحيثُ لا يُسمعُ التأويلُ ، ولا يسعُ فيه القولُ والقيـلُ . وإنَّ جميعَ ما كفوهَ به هذا الشقيُّ تقولُ مُتقوِلُ ، وما هو بمُزحزحِه من العذابِ أن يُحرفَ أو يُؤوِلَ !

وبالمجزة : فسَّتْ الحاجةُ إلى تبيينِ حَيْدِه ، وكشفِ كَيْدِه ، ورفعِ السِّترِ عن وسائسه التي ألقاها في قلوبِ المسلمين ، وإزاحةِ الأوهامِ والشُّبُهاتِ التي اخترعها في الإمامِ المبينِ ^(١) ، فقام لهذا رجالٌ من حزبِ الله ، فصنّفوا

(١) أي القرآن الكريم .

فيه رسائل بين وجيزٍ وطويل ، ودقيق وجليل ، وجاءوا بما فيه كفاية لمن له دراية ، وأوتي من الله هداية (١) .

(١) قلت : قد أُلِّفَ في الردِّ على القاديانية وتقضِ أباطيلهم غيرُ واحد من العلماء ، بالبرية والفارسية والأوردية : لنة القادياني الضالُّ المردودِ عليه . وهذا غَيْضٌ من قَيْضٍ من أسماء تلك المؤلفات مع تاريخ طبعها ومكانه :

- ١ - هدية المهديين في آية خاتم النبيين لأستاذنا العلامة الشيخ محمد شفيع سماحة مفتي باكستان كاتب مقدمة « التصريح » هذه ، حفظه الله تعالى .
- ٢ - القاديانية ثورة على النبوة المحمدية والإسلام لصديقنا العلامة الداعية الكبير الأستاذ السيد أبي الحسن الندوي الهندي ، حفظه الله تعالى ، طبع في الهند دون تاريخ ، ثم طبع في القاهرة سنة ١٣٧٥ .
- ٣ - القادياني والقاديانية له أيضاً ط الهند ١٣٧٨ .
- ٤ - المسألة القاديانية للأستاذ أبي الأعلى المودودي حفظه الله تعالى ط القاهرة ١٣٧٣ .
- ٥ - البيانات في الرد على القاديانية له أيضاً .
- ٦ - حقيقة القاديانية للأستاذ محمد لقمان الصديقي ط القاهرة ١٣٧٥ .
- ٧ - إكفار الملحدين في ضروريات الدين لإمام مصر محمد أنور شاه الكشميري مؤلف كتاب « التصريح » ط الهند ١٣٥٠ .
- ٨ - صدع النقاب عن جساسة الفتنج - القادياني - للإمام الكشميري أيضاً (نظم) ط الهند ١٣٤٣ .
- ٩ - طائفة القاديانية لأستاذنا العلامة الشيخ محمد انخضر حسين رحمه الله تعالى ط القاهرة ١٣٥١ .

إلا أنه كان في الباب أدلة قوية ، وشواهد بيّنة ،

- ١٠ - فصل قضية القادياني للعلامة أبي الوفاء ثناء الله الأمرتسري الهندي ط الهند .
- ١١ - رسالة في الرد على القاديانية للشيخ محمد نذير حسين الدهلوي .
- ١٢ - الفتح الرباني في الرد على القادياني للقاضي حسين بن محسن الأنصاري .
- ١٣ - الحق الصريح في إثبات حياة المسيح للشيخ محمد بشير السهسواني .
- ١٤ - إشاعة السنة للشيخ أبي سعيد محمد حسين اللاهوري .
- ١٥ - إعلاء الحق الصريح بتكذيب مثل المسيح للشيخ محمد إسماعيل الكولي .
- ١٦ - شفاء للناس .
- ١٧ - عصا موسى . ذكّرت هذه الكتب السبعة في « عون المعبود على سنن أبي داود » لشرف الحق العظيم آبادي ٤ : ٤٠٦ وما أدري : هل كلها بالعربية أم بعضها بالأوردية ؟
- ١٨ - النصال الشفوية في الرد على القاديانية لعلامة مدينة دير الزور من بلاد الشام الشيخ حسين محمد الخالدي رحمه الله تعالى ط دمشق ١٣٧٢ .
- ١٩ - سهام النصال في ردّ الضلال ، في الردّ على الرسالة الموسومة بالحقائق الأحمدية لأحمد الهندي المدّعي أنه عيسى ! للعلامة الشيخ حسين أيضاً ط حلب ١٣٤٦ .
- ٢٠ - الأسس السياسية للحركة القاديانية للأستاذ السيد عباسي من علماء دار السلام في مدينة درين جنوبي إفريقيا ، ترجمت عن الإنكليزية إلى العربية ط دمشق ١٣٧٧ .
- ٢١ - منشأ القاديانية ومقاصدها الخبيثة . حديث لندوة العلماء الأجلاء في مجلة « لواء الإسلام » المصرية في سنتها الثالثة عشرة سنة ١٣٧٩

=

بَقِيَتْ فِي الْخَبَايَا ، وَلَمْ تَصْعَدْ إِلَيْهَا أَفْكَارُ الْمُصَنِّفِينَ .

- ٢٢ - السيف الرباني في عتق جلال شمس القادياني للشيخ جميل الشطي
الدمشقي باسم : « تأليف مسلم دمشقي » ط دمشق ١٣٥٠ .
- ٢٣ - الإنكليز والقاديانية للشيخ محمد عمر اللثاني . دون تميّن مكان
الطبع وزمانه .
- ٢٤ - كشف الستار عن القاديانية مطية الاستعمار . له أيضاً ط دمشق
١٣٧٧ .
- ٢٥ - البرهان البين في تأييد فتاوى المفتين للعلامة الشيخ محمد هاتم
الخطيب رحمه الله تعالى ط دمشق .
- ٢٦ - ٢٨ - ثلاثة كتب أخرى في نقض القاديانية له أيضاً ، ط دمشق .
- ٢٩ - فصل الخصام في الردّ على كشف اللثام للعلامة محمد أبي ذر النظامي
الأيوبي رحمه الله تعالى ط حمص .
- ٣٠ - الحق المبين في الرد على القاديانيين الدجّالين للشيخ محمد حمدي
الجويجاتي ط دمشق ١٣٦٧ .
- ٣١ - حجة المجلان على جماعة قاديان للشيخ محمد وحيد الجباوي ط
دمشق ١٣٦٨ .

ما أُثِفَ مِنْهَا بِالْأُورْدِيَةِ

- ٣٢ - ختم نبوت لأستاذنا العلامة الشيخ محمد شفيع مفتي باكستان .
حفظه الله تعالى .
- ٣٣ - قادياني مذهب للشيخ محمد إلياس برني .
- ٣٤ - كلمة الله في حياة روح الله لأستاذنا العلامة الشيخ محمد إدريس
الكاندهلوي مؤلف « التمليق الصبيح على مشكاة المصابيح » =

ومباحثٌ ومقالاتٌ أنيقةٌ ، لم تُدرِكها أنظارُ المُحرِّرين

- = وشيخ الحديث بالجامعة الأشرفية في لاهور حفظه الله تعالى .
- ٣٥ - الخطاب المليح في تحقيق المهدي والسيح لحكيم الأمة الشيخ أشرف على التهاوي رحمه الله تعالى .
- ٣٦ - الشهاب لرجم الخاطف الرتاب لشيخ الإسلام العلامة شبير أحمد العثاني رحمه الله تعالى .
- ٣٧ - خاتم النبيين لإمام العصر محمد أنور شاه الكشميري ط الهند .
- ٣٨ - فتنة مرزائيت لإمام العصر الكشميري أيضاً ط الهند .
- ٣٩ - الجواب الفصيح لمنكر حياة المسيح لتلميذ إمام العصر أستاذنا العلامة الشيخ محمد بدر عالم الميرتبي الهندي ، المهاجر القيم في المدينة المنورة ، حفظه الله تعالى . وقد تُرجمَ إلى الإنكليزية .
- ٤٠ - درة الدراني على متن القادياني .
- ٤١ - سيف جشتيائي .
- ٤٢ - شهادة القرآن . هذه الثلاثة ذكرَها الإمام الكشميري في كلمته التي سبق تعليقها في ص ٤١ .
- ٤٣ - عشرة كاملة ، في إبطال الفتنة المرزائية والنبوة الباطلة ، لشيخ مشايخنا العلامة الكبير الشيخ خليل أحمد السهارنفوري الهندي مؤلف « حل المقصود من سنن أبي داود ، رحمه الله تعالى .
- ٤٤ - فتح قاديان للعلامة السيد الشيخ مرتضى حسن رئيس شعبة التبليغ في دار العلوم الديوبندية .
- ٤٥ - فيصلة مقدمة بهاولبور . وهي في الأصل دعوى رُفِعتْ من مسلمةٍ قد ارتدتْ زوجها بدخوله في القاديانية فرُفِعتْ عليه =

والمؤلفين . فكان موضع الصدر هناك خالياً ، يدعوه له
ساداً ومالياً ، فانصب له - باذن الله تعالى - الشمس
البازغة لسماء العلم ، والبدر التيم لفلك الخلق والحلم ،
ومن اعترف بفضل الصديق الودود ، والحصم اللدود ،
ومن لانت له صم العلوم كالحديد بين يدي داود عليه
السلام ، بقيّة السلف ، حجة الخلف ، آية من آيات
الله ، شيخنا ومولانا محمد أنور شاه ، صدر المدرسين بدار
العلوم الديوبندية الهندية ، لا زالت ديم^(١) أفضاله
هامرة ، ومجالس درسه عامرة . فصنف فيه مصنفاً
جليل الشأن ، حافلاً ببينات الحديث والقرآن ، بحيث لا
يمارى فيها ولا يُستراب ، كافلاً لجميع ما يُحتاج إليه في

= دعوى الردّة إلى دار القضاء في بهاولبور بدخوله في القاديانية ،
فكّم القاضي بارتداده وقسّخ النكاح . وفي هذا الكتاب أمور
مهمة من شهادات العلماء الأكابر في دار القضاء .

٤٦ - آيينه مرزايت للعلامة الشيخ عبد العليم الصديقي الهندي رحمه الله
تعال .

٤٧ - مرزا غلام أحمد كفره أقوال ، توحيد وصفات باري مين همري للعلامة
الشاه أحمد نوراني . أفادني كثير أمن هذه المؤلفات أستاذنا محمد شفيع* .

(١) جمع ديمة وهي السحابة الماطرة .

الباب ، سَمَّاهُ : « عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام »^(١)
 فجاء بحمدِ الله يَرُوقُ النواظر ، ويلدُّ الخواطر . وكان خَتْمًا
 على شِفاهِ الملاحدة الفَجْرَةِ ، وكِيًّا على جِباهِ الزنادقة الكفَرَةِ ،
 وشَكِيمَةً^(٢) في أفواهِهِمْ ، وغُصَّةً في صُدُورِهِمْ ، وزَلْزَلَةً
 في قاديانِهِمْ^(٣) ، ووباءً في دارِ أمانِهِمْ . إلا أَنَّهُ لم يَسْرُدْ
 فيه أحاديثَ البابِ بأَسْرِها رَومًا للاختصار ، وتحفيظًا على
 النُظَّارِ .

ولمَّا كان في بَجمِ هذه الأحاديثِ فائدةٌ جَسِيمَةٌ ،

(١) وهو كتاب كبير جامع في بابهِ ، طُبِعَ في الهند في حياة
 المؤلف في حدود سنة ١٣٥٠ ، وجاء في ٢١٨ صفحة . ثم طُبِعَ طبعة
 ثانية بعد وفاته سنة ١٣٨٠ في كراتشي من باكستان ، مضافاً إليه
 تعليقات وحواش حافلة كان الشيخ الأنور أَلْفَهَا بعد فراغه من الكتاب
 وسَمَّاهَا : « نجاة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام » . وقدَّم لهذه
 الطبعة الثانية مقدمةً واسعةً تليدهُ العلامة البارِعُ الجامعُ أبو الحسن
 شيخنا الشيخ محمد يوسف البَنُورِي حفظه الله تعالى ، وبلغت صفحات
 هذه الطبعة ٣٤٠ صفحة دون المقدمة .

(٢) الشَكِيمَةُ في اللُّجَامِ : الحديدَةُ المَعْرِضَةُ في فَمِ القَرَسِ التي
 فيها الفَأْسُ . وقَأْسُ اللُّجَامِ : الحديدَةُ القَائِمَةُ في الشَكِيمَةِ .

(٣) أي في دعوى القادياني الضالِّ غلام أحمد .

ومنفعة للناس عظيمة ، جعلها جزءاً برأسه ، جمع جميع ما انتهى إليه النظر في الكتب الحديثية التي أمكن الاطلاع عليها ، واستوعب سائر مجلدات « مسند أحمد » في المطالمة ^(١) ، لتخريج أحاديث هذا الباب ، بفاء بحمد الله منها عددٌ لم يطلع عليه كثيرٌ من العلماء المتقدمين فضلاً عن الأقران والأتراب ، حتى إن القاضي الشوكاني - من علماء القرن الثاني عشر - لما صنّف في هذا الباب رسالة سماها : « التوضيح فيما تواتر في المنتظر والدجال والمسيح » لم يبسر له إلا تسعة وعشرون حديثاً ، مع كثرة اطلاعه وكثرة الكتب الحديثية في زمانه . فهاك رسالة سبعمينية ، قد حوت سبعمين حديثاً صريحاً في الباب ، وعلى الله سبحانه التوكل وإليه المآب ^(٢) .

(١) وكتاب « مسند الإمام أحمد » في بيت مجلدات ضخام جداً ، تبلغ صفحاتها من حجم هذا الكتاب الذي بين يديك أكثر من اثني عشر ألف صفحة . وهذه هي المرة الثانية التي طالع فيها الشيخ الإمام الكشميري « مسند الإمام أحمد » . وقد طالعه مرةً أولى قبل هذه ، استخلص منه فيها الأحاديث المؤيدة للصفية في وجوب صلاة الوتر .

(٢) قلت : وقد ألفت غير واحد من العلماء الأجلة في زول سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام تأليف مستقلة ، سوى المفسرين =

أحاديث نزول عيسى عليه السلام متواترة

ولعلك قد عرفت مما ذكرنا أن الأحاديثَ في هذا الباب متواترة ، وقد صرحَ به جماعةٌ من المحدثين :

= والمحدثين الذين توسعوا في ذلك في تفاسيرهم وشروحهم لكتب الحديث حتى كادت أبحاثهم أن تكون كتباً خاصة بهذا الموضوع . وإليك أسماء طائفة من الكتب المطبوعة في هذا الشأن مع تاريخ طبعتها ومكانه :

- ١ - نظرة عبّارة في مزاعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام قبل الآخرة ، لأستاذنا الامام محمد زاهد الكوثري رحمه الله تعالى ط القاهرة ١٣٦٢ .
- ٢ - عقيدة أهل الاسلام في نزول عيسى عليه السلام لشيخنا العلامة المحدث الشيخ عبد الله ابن الصديق العثماني ، فرّج الله عنه ط القاهرة ١٣٦٩ .
- ٣ - إقامة البرهان على نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ، له أيضاً ط القاهرة طبعة ثانية دون تاريخ .
- ٤ - عقيدة الاسلام في حياة عيسى عليه السلام لامام المصر الشيخ محمد أنور شاه الكشميري ط الهند دون تاريخ ، ثم طُبِعَ في باكستان كراتشي ١٣٨٠ في ٣٤٠ صفحة ما عدا المقدمة التي بلغت ٣٢ صفحة بقلم تلميذه أستاذنا العلامة الجامع أبي الحسن الشيخ محمد يوسف البنوري حفظه الله تعالى .
- ٥ - تيجة الاسلام في حياة عيسى عليه السلام لامام المصر الكشميري أيضاً ط الهند ١٣٥١ ثم طُبِعَ في باكستان ١٣٨٠ . =

فقال العلامة السيّد محمود الآلُوسيّ في تفسيره : « رُوح الماعني »^(١) : « ولا يَقْدَحُ في ذلك - أي في خَتْمِ الثبوتِ - ما أَجْمَعَتِ الأُمَّةُ عليه ، واشتهرتُ فيه الأخبارُ - ولعلّها بَلَفَتْ مبلغَ التواترِ المعنويِّ »^(٢) - ونَطَقَ به الكتابُ

٦ - الجواب المقتنع المحرّر في الرد من طنى وتجير بدعوى أنه عيسى أو المهدي المنتظر للعلامة الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي رحمه الله تعالى ط القاهرة ١٣٤٥ .

٧ - إزالة الشبهات العظام في الرد على منكر نزول عيسى عليه السلام للشيخ محمد علي أعظم رحمه الله تعالى ط حلب ١٣٧٨ .

٨ - اعتقاد أهل الايمان بالقرآن بنزول المسيح ابن مريم عليه السلام آخر الزمان لأستاذنا العلامة الشيخ محمد العربي الشبّاني الجزائري المقيم في مكة المكرمة حفظه الله تعالى ، ط القاهرة ١٣٦٩ .

٩ - التوضيح فيما تواتر في المنتظر والدجال والمسيح للقاضي الشوكاني . ط الهند .

١٠ - فتوى العلامة الشيخ محمد نجيب مفتي الديار المصرية في نزول سيدنا عيسى ط مصر . وطُبِعَت في آخر « عقيدة أهل الاسلام » السابق الذكر .

(١) ٧ : ٦٠ .

(٢) قال السيد الشريف الجرجاني في « مختصره » في مصطلح الحديث ص ٦ : « المتخبرُ التواترُ هو ما بَلَفَتْ رُؤَاؤُهُ في الكثرةِ مبلغاً أَحَالَتْ المادّةُ فيه تَواطؤَ رُؤَاؤِهِ - أي تَوافَقَهُم - على الكذبِ . فإذا اتفقت رِوَايَتُهُم للخبر في اللفظ والمعنى قيل فيه : مُتَوَاتِرٌ لفظي ، وإذا اختلفت ألفاظُهُم مع اتفاقها في معنى يكون قدرًا مشتركًا بين =

— على قولٍ — ووجِبَ الإيمانُ به ، وأُكْفِرَ مُنْكَرُهُ
كالفلاسفة : من نُزُولِ عيسى عليه السلام آخِرَ الزمان ، لأنه
كان نبيّاً قبلَ تحلّي نينا ﷺ بالنبوّة في هذه النشأة «^(١) .

وبه صرّح الحافظُ عبادُ الدين ابنُ كثير ، حيث قال
في « تفسيره » في تفسير سورة الزخرف عند قوله تعالى :
﴿ وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ ﴾^(٢) : « وقد تواترت الأحاديثُ عن

= الجَمْعُ قِيلَ فِيهِ مَتَوَاتِرٌ مَعْنَوِيٌّ* .

قال شيخنا الإمام الكوثري رحمه الله تعالى في كتابه « نظرة عابرة
في مزاعم من ينكر نزول عيسى قبل الآخرة » ص ٤٤ : « والتواترُ في
حديثِ نزولِ عيسى عليه السلام : تواترٌ معنويٌّ حيث تشاركتْ أحاديثُ
كثيرةٌ جداً — بَيَّنَّتْهَا الصَّحَاحُ وَالْحِيسَانُ بكثرة — في التصريحِ بنزولِ
عيسى مع اشتغالِ كلِّ حديثٍ منها على معاني أخرى ، وهذا ما لا يستطيع
إنكاره أحدٌ ممن شَمَّ رَأْيَهُ علمَ الحديثِ » .

(١) وقال العلامة الألويسي في تفسيره بعد هذا : « ثم إنَّ عيسى
عليه السلام حين ينزلُ باقٍ على نُبُوَّتِهِ السابقة لم يُغزَلْ عنها بحال ،
لكنه لا يتعبَّدُ بها لِنَسْخِهَا في حقِّه وحقِّ غيره ، وتكليفه بأحكام
هذه الشريعة أصلاً وفرعاً ، فلا يكون إليه عليه السلام وحيٌّ ولا نَصَبٌ
أحكام ، بل يكونُ خليفةً لرسولِ الله ﷺ ، وحاكماً من حُكَّامِ
مِلَّتِهِ بين أمته بما عَلَّمَهُ في السماء قبل نزوله من شريعته عليه الصلاة
والسلام كما في بعض الآثار » .

(٢) ٤ : ١٣٢ . وقُرئت : « وَإِنَّهُ لَعَلَّمَ لِّلسَّاعَةِ » كما في
« إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر » للدمياطي .

رسول الله ﷺ أنه أخبرَ بنزولِ عيسى عليه السلام قبلَ يومِ
القيامةِ إماماً عادلاً ، وحكماً مُقسِطاً . وصرَّحَ به في
تفسير سورة النساءِ أيضاً ^(١) .

(١) عند تفسير قوله تعالى : « وإن من أهل الكتاب إلا
ليؤمننَّ به قبلَ موته » ، ٥٨٢ : ١ . ويُنَّ رحمه الله تعالى تَبَماً
للإمام ابن جرير الطبري أنَّ الضَّميرين في (به) و (موته) :
يعودان على سيدنا عيسى عليه السلام ، لأنه التحدُّثُ عنه في السياق ،
ويُنَّ أنَّ المعنى : « أن جميع أهل الكتاب يُصدِّقون به إذا نزل
لقتلِ الدجال ، ولا يتخلفُ عن التصديق به واحدٌ منهم ، فتصيرُ
الليلُ كلها ليلةً واحدة ، وهي ليلةُ الإسلام الحنيفيةِ دينِ إبراهيم
عليه السلام .

ثم قال الحافظ ابن كثير ما خلاصته : « وهذا القولُ - يعني
الذي ذكره في تفسير الآية وتقلناه - هو الحقُّ كما سنبينه بالدليل القاطع
إن شاء الله تعالى . لأنه المقصودُ من سياقِ الآيِ في تقريرِ بطلانِ ما
ادَّعتهُ اليهودُ من قتلِ عيسى ، وصلِّبه وتسلَّم من سلَّم لهم من النصارى
الجهلةِ ذلك ، فأخبرَ اللهُ : أنه لم يكن الأمرُ كذلك ، وإنَّما شبَّه
لهم فقتلوا الشبَّهَ وهم لا يتبينون ذلك ، ثم إنَّه سبحانه رَفَعَهُ
إليه ، وإنَّه باقٍ حيٌّ ، وإنَّه سيُنزلُ قبلَ يومِ القيامةِ ، كما دلَّتْ عليه
الأحاديثُ التواترةُ التي سنوردُها . ثم أوردَ أحاديثَ كثيرةً
جداً ١ : ٥٧٨ - ٥٨٢ ، ثم قال بعدها : « فهذه أحاديثُ متواترةٌ
عن رسول الله ﷺ ، وفيها دلالةٌ على صفةِ نزولهِ عليه السلام
ومكانه . »

وقال رحمه الله تعالى أيضاً في « تفسيره » في تفسير سورة =

.....

= الأحزاب عند قوله تعالى : « وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ » ٣ : ٤٩٤ : « فَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْعِبَادِ إِرْسَالُ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَيْهِمْ . ثُمَّ مِنْ تَحْرِيفِهِ لَهُمْ : خَتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالرَّسُلِينَ بِهِ ، وَإِكْثَالُ الدِّينِ الْحَنِيفِ لَهُ .

وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه ، ورسوله ﷺ في السُّنَّةِ المتواترة عنه : أنه لا نبيَّ بعده ، ليعلموا أن كلَّ من ادَّعى هذا المقامَ بعده فهو كذابٌ أَفْثَاكٌ ، دَجَالٌ ضالٌّ مُضِلٌّ ، ولو تخرَّقَ - أتى بالخوارق الظاهرة - وشعبدًا - عملَ عملاً فيه خِدَاعٌ للعَيْنِ والفِكرِ - وأتى بأنواعِ السِّحْرِ والطَّلَاسِمِ - أفعالٌ تُفَعِّلُ لأجلِ التَّمَكُّنِ من إظهار ما يخالف العادة ، والمنع مما يوافقها - والنَّيِّرِ نَجَاتٍ - الحَيْدِ - ، فكثرت مُحَالٌ وضلالٌ عند أولي الألباب .

كما أجرى الله سبحانه وتعالى على يَدِ الْأَسْوَدِ الْعَتِسِيِّ بِالْيَمَنِ ، ومُسَيَّلِمَةَ الْكُذَّابِ بِالْيَمَةِ ، من الأحوالِ الفاسدة ، والأقوالِ الباردة ، ما علِّمَ كلُّ ذِي لُبٍّ وفهْمٍ وحِجْيٍ : أنها كاذبانٌ ضالَّانٌ ، لعنتها اللهُ تعالى ، وكذلك كلُّ مُدَّعٍ لذلك إلى يومِ الْقِيَامَةِ حتى يُخْتَمُوا بِالسِّحْرِ الدَّجَالِ .

فكلُّ واحدٍ من هؤلاء الكذَّابين يَخْلُقُ اللهُ معه من الأمور ما يشهدُ الملأُ والمؤمنون بكذبٍ من جاء بها . وهذا من تمامِ لُطْفِ اللهِ تعالى مخلِّقه ، فانَّهم - أي أولئك المدَّعين الكذَّابين - بضرورة الواقع : لا يأمرون بمرُوفٍ ، ولا ينهون عن منكرٍ إلا على سبيلِ الاتِّفَاقِ ، أو لما لهم فيه من المقاصدِ إلى غيره ، ويكونُ هؤلاء في غايةِ الْإفْكِ والفجورِ في أقوالهم وأفعالهم ، كما قال تعالى : هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ؟ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفْثَاكٍ نُمِرٍ ، =

وذكرَ الحافظُ ابن حجر في كتابه « فتح الباري »^(١)
تواترَ نُزولِ عيسى عليه السلام ، عن أبي الحُسَيْنِ الأَبْرِيِّ^(٢) .
وقال^(٣) في « التلخيص الحبير » من كتاب الطلاق^(٤) :

= وهذا بخلاف حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، فإنهم في غايةِ
البرِّ والصدق ، والرشدِ والاستقامة والمدلِّ فيما يقولونه ويفعلونه ،
ويأْمُرُونَ به وَيَنْهَوْنَ عنه ، مع ما يُؤَيِّدُونَ به من الخوارق للمعاد ،
والأدلة الواضحات ، والبراهين الباهرات ، فصولاتُ الله وسلامتهُ عليهم
دائماً مستمراً ما دامت الأرضُ والسموات .

(١) ٦ : ٣٥٨ .

(٢) الأَبْرِيُّ : نسبة إلى آبر ، قرية من قرى سَجِسْتَانَ . وقد
جاءت كنية الأَبْرِيِّ في الأصل هكذا (أبو الحُسَيْنِ) وهي هكذا في
ترجمته في « طبقات الشافعية » للسبكي ٢ : ١٤٩ ، و « كشف الظنون »
عند ذكر « مناقب الشافعي » للأَبْرِيِّ ٢ : ١٨٣٩ . وجاءت كنيتهُ
(أبو الحَسَنِ) في « فتح الباري » من الطبعة البولاقية ٦ : ٣٥٨ ،
و « معجم البلدان » لياقوت في (آبر) ١ : ٥١ ، و « تذكرة
الحفاظ » للذهبي ص ٩٥٤ ، و « شذرات الذهب » لابن المهدي ٣ : ٤٦ ،
فإنه أعلم .

* ووقع في « فتح الباري » تحريفُ نَسَبِهِ إلى (الحُسيِّ الأَبْدِيِّ) ،
ولعلَّ صوابه : (السَّجِسْتَانِيُّ الأَبْرِيُّ) ؟ والله أعلم .

(٣) أي الحافظُ ابنُ حجر .

(٤) : ص ٣١٩ .

« وَأَمَّا رَفَعُ عَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَاتَّفَقَ أَصْحَابُ الْأَخْبَارِ
والتفسيرِ على أَنَّهُ رُفِعَ يَسَدَنَهُ حَيًّا . وَإِنَّمَا اختلفوا هل
ماتَ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ ؟ أَوْ نَامَ فَرُفِعَ ؟ » . وقال في « فتح
الباري » من باب ذكر إدريس ^(١) : « إِنَّ عَيْسَى رُفِعَ
وهو حيٌّ على الصحيح » ^(٢) .

(١) ٦ : ٢٦٧ .

(٢) قلتُ : أوجز شيخنا محمد شفيع حفظه الله تعالى في ذكرِ مَنْ
نصَّ على تواترِ نزولِ سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام ، وهناك غيرُ
واحدٍ من الأئمة المتقدمين والمتأخرين نصُّوا على تواترِ نزوله ﷺ ،
وإليك طائفةٌ منهم غيرَ الذين ذكرهم شيخنا هنا :

فمنهم : الإمامُ ابنُ جريرِ الطبري في « تفسيره » عند قوله
تعالى في سورة آل عمران : « إِنِّي مُنَوِّتِيكَ وَرَافِعِيكَ إِلَيَّ » ٣ :
٢٠٣ ، فقد قال بعد أن ذكرَ الأقوالَ في معنى النَّوِّتِي : « وأولى
هذه الأقوال بالصحة عندنا قولُ من قال معنى ذلك : أَنِّي قَائِمٌ مِنْ
الْأَرْضِ وَرَافِعِيكَ إِلَيَّ . لتواترِ الأخبارِ عن رسولِ الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ :
يُنزِلُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيَقْتُلُ الدَّجَالَ . . . » .

قال شيخنا الإمام الكوثري رحمه الله تعالى في كتابه : « نظرة
عابرة في مزاعم من يُنكرُ نزولَ عيسى عليه السلام قبلَ الآخرة »
ص ٣١ : « وليس في قول الإمام ابن جرير الطبري : (وأولى الأقوال
بالصحة) ما يُحتجُّ به أن تلك الأقوالَ مشتركةٌ في أصلِ الصحة ،
كيف وقد ذكرَ بينها ما هو معزُّوٌّ إلى النصارى ؟ ولا يتصورُ =

= أنْ يَصِيحَ ذلك في نظره ، بل كلامه هذا من قبيل ما يُقال :
 فلانٌ أذكي من حمار ، وأفقه من جدار ، كما يظهر من عادة ابن
 جرير في « تفسيره » عند نقله لرواياتٍ مختلفة ، كائنة ما كانت
 قيمتها العلمية ، وقد يكون بينها ما هو باطلٌ حتماً ، فلا يكون لأحدٍ
 إمكانُ التمسكِ بمثل تلك العبارة في تقوية الروايات الردودة .

قلتُ : وهذه قاعدةٌ وفائدةٌ تستفادُ لفهمِ كلامِ ابنِ جرير في
 « تفسيره » فاعلمها واشدّدْ عليها بيدك ، فانها من العلم الكون .

ومهم : الامامُ المفسرُ ابنُ عطية النرناطي الأندلسي ، فقد قال
 في « تفسيره » : « وأجمتُ الأمةُ على ما تضمنتهُ الحديثُ المتواترُ
 من أنْ عيسى في السماءِ حيٌّ ، وأنه ينزلُ في آخِرِ الزمانِ فيقتلُ
 الخيزر ، ويكسرُ الصليبَ ، ويقتلُ الدجالَ ، ويفيضُ العدلَ ،
 وتظهرُ به مِلَّةُ محمدٍ ﷺ ، ويحجُّ البيتَ ، ويمتدِّمُ » . انتهى .
 نقله عنه الامامُ أبو حيان الأندلسي في تفسيره : « البحر المحيط » في
 سورة آل عمران ٢ : ٤٧٣ . وقال أبو حيان نفسه في تفسيره الصغير
 المسمّى : « النهر اللادّ من البحر » المطبوع على حاشية « البحر المحيط » :
 ٢ : ٤٧٣ : « وأجمتُ الأمةُ على أنْ عيسى عليه السلامِ حيٌّ في
 السماءِ ، وسيُنزلُ إلى الأرضِ ، الى آخِرِ الحديثِ الذي صحَّ عن
 رسولِ الله ﷺ في ذلك » .

ومهم : الامامُ الفقيهُ أبو الوليد ابنُ رشد ، فقد نقلَ عنه
 العلامةُ أبو عبد الله الأبيُّ في « شرحه على صحيح مسلم » : ١ : ٢٦٥
 قوله : « ولا بدُّ من نزولِ عيسى عليه السلامِ ، لتواترِ الأحاديثِ
 بذلك ، وفي « المُنبية » : كان أبو هريرة بَلَغني الفتى الشابَّ =

.

= فيقول : يا ابن أخي إنك عسى أن تلتقى عيسى ابن مريم فاقترأه مني السلام . تحقيقاً لزوله .

ومهم : العلامة السقاري الحنيلي في شرح منظومته في العقيدة المسمى « لواعق الأنوار البية » ٢ : ٩٤ - ٩٥ قال « قد أجمت الأمة على زول عيسى ابن مريم عليه السلام ، ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة ، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يمتد بخلافه ، وقد انقصد إجماع الأمة على أنه يتزل ويحكم بهذه الشريعة الحمديدية ، وليس يتزل بشريعة مستقلة عند زوله من السماء ، وإن كانت النبوة قائمة به وهو متصف بها .

ومهم : العلامة الشوكاني اليمني ، قال في كتابه : « التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح » بعد أن ساق الأحاديث الواردة في ذلك : « فتقرر أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة ، والأحاديث الواردة في الدجال متواترة ، والأحاديث الواردة في زول عيسى ابن مريم متواترة . كما نقله عنه أستاذنا العلامة الشيخ عبد الله ابن الصديق النماري فرج الله عنه في كتابه : « عقيدة أهل الاسلام في زول عيسى عليه السلام » ص ١١ .

ومهم : شيخ شيوخنا العلامة المحدث الشريف سيدي محمد بن جعفر الكشاني رحمه الله تعالى في كتابه : « نظم المتناثر من الحديث المتواتر » : ص ١٤٧ حيث قال : « وقد ذكروا أن زول سيدنا عيسى عليه السلام ثابت بالكتاب والسنة والاجماع . ثم قال : والحاصل أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة ، وكذا الواردة في الدجال وفي زول سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام . =

جملة الكلام

وجُمَلَةُ الكلام في هذه الرسالة، والمَقْصُودُ الصِّرفُ
من هذه المُجَالَةِ : أن يُنْهَى إلى كلِّ ذِي أُذُنَيْنِ ، وَيُرَى
لكلِّ ذِي عَيْنَيْنِ أَنَّ البِمْوُثَ بِالْأَمْرِ الْأَمَمِ (١) ،
وَأَرَأَفَ الْأَنْبِيَاءَ بِالْأَمَمِ ، نَبِيْنَا الْأَكْرَمُ نَبِيُّ الْأَنْبِيَاءِ ﷺ ،

= ومهم : شيخنا الإمام محمد زاهد الكوثري رحمه الله تعالى في كتابه :
« نظرة عابرة في مزاعم من ينكر نزول عيسى عليه السلام قبل الآخرة »
حيث قال في ص ٣٦ بعد أن استوفى تفسير الآيات الدالة على نزول
عيسى عليه السلام : « فظَهَرَ مما سَبَقَ أنْ نصوصَ القرآنِ الكريمِ
وَحَدَّهَا تُحَسِّمُ القولَ برفعِ عيسى حَيًّا ، وبنزوله في آخِرِ الزمانِ ،
حيث لا اعتدادَ باحتمالاتِ خياليةٍ لم تنشأ من دليل ، كيف
والأحاديثُ قد تواترتْ في ذلك ، واستمرتْ الأُمَّةُ خَلْفًا عن سلفِ
على الأخذِ بها وتداولِها مُوجِبِيها في كتب الاعتقادِ من أقدم العصور إلى
اليوم ، فماذا بعد الحقِّ إلا الضلالُ ؟ ! » .

وقال رحمه الله تعالى أيضاً في ص ٤٩ : « وأما تواترُ أحاديثِ المهديِّ
والدجالِ والمسيحِ فليس بموضعِ ريبٍ عند أهلِ العلمِ بالحديثِ . وتشكُّكُ
بعضِ المتكلمين في تواترِ بعضها - مع اعترافهم بوجوبِ اعتقادِ أنْ
أشراطُ الساعةِ كلُّها حقٌّ - فين قلَّةٌ خيرتهم بالحديثِ ! » .

(١) الأمرُ الأمَمُ : السيرُ المعتدلُ .

لَمَّا كَانَ آخِرَ الْأَنْبِيَاءِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ، وَلَمْ يُقَدَّرْ بَعْدَهُ نَبِيٌّ
يُقِيمُ مَقَامَهُ وَيُعْنِي غَنَاءَهُ ، فَيُنَبِّئُ النَّاسَ بِكُلِّ نَافِعِهِمْ
وَضَارِّهِمْ ، وَحَارِّهِمْ وَقَارِّهِمْ ، فَغَزَّ عَلَيْهِ عَنْتُهُمْ بَعْدَهُ ، فَأَرَادَ أَنْ
يُبَيِّنَ لَهُمْ طَرِيقَ الْحَقِّ وَسَبِيلَ السَّلَامِ ، بِحَيْثُ لَا تَخْفَى
عَلَيْهِمْ خَافِيَةٌ ، فَيُنَالُوا نِيَّتَهُمْ بِعَافِيَةٍ غَيْرِ عَافِيَةٍ ^(١) ، فَيَسِّنُ لَهُمْ
سَأْرَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ سَالِكٌ هَذَا السَّبِيلِ مِنْ غَوْرٍ وَنَجْدٍ ^(٢) ،
وَرَفَعٍ وَخَفَضٍ ، فَمَا مِنْ هَادٍ مُرْشِدٍ مُقَدَّرٍ ظَهْرُهُ فِي
الْأُمَّةِ إِلَّا وَقَدْ نَبَّأْنَا بِهِ ، وَمَا مِنْ ضَالٍّ مُضِلٍّ قُدِّرَ
خُرُوجُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا وَقَدْ أَخْبَرْنَا بِهِ ، حَتَّى كَشَفَ
لَنَا عَنْ أَكْثَرِ مَا يَكُونُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ
مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ، وَسَرَدَ لَنَا أَمَارَاتِ السَّاعَةِ بِحَيْثُ لَمْ يَدَعِ
فِيهَا مَوْضِعَ شُبْهَةٍ وَمَوْضِعَ لَبْسَةٍ ^(٣) .

(١) أَي فَيُنَالُوا قَصْدَهُمْ بِسَلَامَةٍ غَيْرِ زَائِلَةٍ .

(٢) الْغَوْرُ : الْمَكَانُ الْمُنْخَفِضُ ، وَالنَّجْدُ : الْمَكَانُ الْمُرْتَفِعُ .
وَالْمُرَادُ بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ وَالَّتِي تَلِيهَا أَنَّهُ : **وَيُبَيِّنُ** مِنْ حَالِ الدَّجَالِ كُلِّ حَقِيرٍ
وَخَطِيرٍ ، وَكَبِيرٍ وَصَغِيرٍ ، لِتَكُونَ أُمَّتُهُ **وَيُبَيِّنُ** عَلَى بَيِّنَةٍ وَاضِحَةٍ مِنْ
الدَّجَالِ ، وَدَلَائِلَ لِأُمَّةٍ مِنْ أَبْاطِيلِهِ وَأَضَالِيلِهِ ، فَلَا يَمْتَرُهُ بِهِ إِلَّا هَالِكٌ .

(٣) قُلْتُ : قَدْ اسْتَوْفَتْ كِتَابَ السُّنَّةِ الشَّرِيفَةَ الْأَحَادِيثَ =

ولما كان من أجلِّ أمارات الساعة وأهمِّها نزولُ

= الواردة في أمارات الساعة وعلاماتها خيرَ استيفاء ، وها أناذا أشيرُ إلى بعض تلك الكتب تيسيراً على من أراد الرجوع إليها ، فإنَّ قراءتها تفتِّحُ الإيمانَ في القلب وتُقوِّيه ، وتكسبُ المؤمنَ بالله خشيةً ورهبةً ، وتدعوه أن يَمَلَ صالحاً ، ويتدخَّرَ طليباً ، وتكشفُ له من سيجفُ الغيب عن جزء من حياة ما قبلَ يوم القيامة ، ويتبدَّى له من كلِّ ذلك : علمُ الله تعالى وقدرته اللهُ تعالى الذي لا يُعجزُهُ شيءٌ في الأرض ولا في السماء ، كما يتبدَّى له صدقُ النبي الكريم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أزكى صلاة وأطيب تحية . فقد رواها البخاري في آخر « صحيحه » تحت عنوان (كتاب الفتن) : ١٣ : ٢ - ٩٨ . وروى مسلمٌ بعضها في أوَّلِ « صحيحه » في (كتاب الإيمان) في (باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب) حتى (باب ذكر المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام والدجال) ٢ : ١٦٧ - ٢٣٨ ، وروى بعضها أيضاً في آخرِ « صحيحه » تحت عنوان (كتاب الفتن وأثرات الساعة) ١٨ : ٢ - ٩٢ . ورواها أبو داود في « سننّه » في أواخرها تحت عنوان (كتاب الفتن والملاحم) : ٤ : ٩٤ - ١٢٥ . ورواها الترمذي في « سننّه » في أواسطها تحت عنوان (أبواب الفتن) ٩ : ٢ - ١٢٢ . ورواها ابن ماجه في « سننّه » في أواخرها تحت عنوان (أبواب الفتن) ٢ : ١٢٩٥ - ١٣٧٢ . ورواها الحافظ نور الدين الهيثمي في « مجمع الزوائد » تحت عنوان (كتاب الفتن) ٧ : ٢٢٠ - ٣٥١ و ٨ : ٢ - ١٤ . وهو أوسعُ هذه الكتب استيفاءً لذكرها .

وأفردَها بعضُ العلماء بتأليفٍ خاصَّة ، وطبَّع منها كتاب « الإشاعة لأثرات الساعة » للعلامة محمد البرزنجي ، وهو كتاب =

عيسى ابن مريم - على نبينا وعليه السلام - وكان الخفَاء

= كبير جداً في موضوعه ، يبلغ ٣٠٠ صفحة . وطُبع منها أيضاً كتاب « الإذاعة لما كان ويكون بين يدي الساعة » للسيد صديق حسن خان الهندي ، ويبلغ نحو ٢٠٠ صفحة . وقراءة تلك الأحاديث في مثل كتاب « صحيح البخاري » و « صحيح مسلم » أطيب وأحب .

وما يلاحظ أنه بُعد الناس عن قراءة هذه الأحاديث ومعرفة على طول الزمن وامتداد الأيام - يُنسبها من الأذهان ، ويُقلصها في النفوس ، حتى قد يقع الاستبعاد لها ، أو الاستخفاف بها ، أو الإنكار لوقوعها ممن لا علم عندهم ، ولذلك كان السلف يُداومون على تعليم هذه الأحاديث ، ويذكرونها للناس حتى الأولاد في الكُتُب - المدرسة - ، ليتوارثوا معرفتها ، ولتكون لهم بها عقيدة راسخة ، تزيد متانة على مرور الأيام . وقد سبق في ص ٦٣ نقل العلامة الأبي عن « المتنبية » : « كان أبو هريرة يلتقي الفتي الشاب فيقول له : يا ابن أخي إنك عسى أن تلقى عيسى ابن مريم فاقرأه مني السلام . تحقيقاً لنزوله » .

وقد عقدت العلامة السقاري المتوفى سنة ١١٨٨ رحمه الله تعالى في شرح منظومته في العقيدة المسمى « لوامع الأسرار البية » ٢ : ١٠٦ تنبيهات ، وقال : التنبيه الثالث : مما ينبغي لكل عالم : أن يبتث أحاديث الرجال بين الأولاد والنساء والرجال ، وقد قال الإمام ابن ماجه : سمعت الطنافية يقول : سمعت الحاربي يقول : ينبغي أن يُدفع هذا الحديث يعني حديث الرجال إلى المؤدب حتى يُعلمه الصبيان في الكُتُب . وقد ورد أن من علامات خروجه نسيان ذكره على النار . وقد أخرج الإمام أحمد وابن خزيمة وأبو يعلى والحاكم =

والالتباسُ فيه مهلكةٌ عظيمةٌ للأمة ، فاعتنى الحريصُ
على المؤمنين الرءوف الرحيم - فِداهُ أبي وأُمِّي - بشأنه
أيَّ اعتناء ، وبالغَ في بيانه أيَّ مبالغة ، بحيثُ لا يُمكنُ
لأحدٍ وَصْفُ أحدٍ فوقه ، حتى أسمعَ به آذاناً صُمًّا ،
وأبصرَ به أعيناً عُمياً ، وشرحَ به قلوباً غُلْفًا ، فلعلَّه
ﷺ اطَّلَعَ بالوحي الإلهيِّ على هذه الفرقةِ المارقةِ وكيدها
وتلبيسها على الناس ؟ فأرى مَظانَّ وسَوسِمَ وعدَّها ،
وتتبعَ الخِلالَ من تلبساتِهِم فسَدَّها ^(١) .

فانك سترى فيما نسرُدُه عليك من الأحاديثِ أنَّه
ﷺ يَنِّ فيها :

اسمَ سيدنا عيسى ، ولقبه ، ونسبه : فذاكر اسمَ
أُمِّه وأبي أُمِّه وأوصافَ أُمِّه .

= عن جابر بن عبد الله مرفوعاً : « يَخْرُجُ الدُّجَالُ فِي خِيفَةٍ مِنْ
الدِّينِ ، وَإِدْبَارِ مِنَ الْعِلْمِ ، . فَيَنْبَغِي لِكُلِّ عَالِمِ التَّذْكِيرُ بِهِ وَلَا سِوَا فِي
زَمَانِنَا هَذَا الَّذِي اشْتَرَأَبَتْ فِيهِ الْفِتْنُ ، وَكَثُرَتْ فِيهِ الْمِحْنُ ، وَانْدَرَسَتْ
فِيهِ مَعَالِمُ السُّنَنِ ، وَصَارَتِ السُّنَّةُ فِيهِ كَالْيَدَعِ ، وَالْبِدْعَةُ شَرْعٌ
يُنْتَبَعُ ! » .

(١) الخِلالُ جمعُ خَلَلٍ وهو الفُرْجَةُ بين الشيئين .